

جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالديدامون – شرقية



النصوص القرآنية ودلالتها على اختلاف الفرق النصرانية

إعداد

دكتور: أحمد عبد الرحمن محمد محمد كساب

المدرس بقسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة بالقاهرة
جامعة الأزهر الشريف.

البريد الإلكتروني: ahmed.kassab٢٠٠@gmail.com

العدد الثامن

١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م

النصوص القرآنية ودلالتها على اختلاف الفرق النصرانية

أحمد عبد الرحمن محمد محمد كساب
قسم العقيدة والفلسفة، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.
الإيميل : ahmed.kassab٢٠٠@gmail.com

الملخص:
في هذا البحث طرحٌ لجانب من جوانب القرآن الكريم وهو تناوله لأقوال أهل الأديان، وعنوانه: (النصوص القرآنية ودلالتها على اختلاف الفرق النصرانية)، ويشتمل هذا البحث على مقدمة، وبيان أسباب اختيار الموضوع، وخطة البحث، والتمهيد والذي بينت فيه منهج القرآن في إثبات العقائد، وطريقته في عرض ما نسب إلى النصارى من عقائد، ثم يتناول البحث تحقيق أن آيات القرآن هي بيان لآراء فرق النصارى المتعددة، وإثبات أن من آيات القرآن الكريم ما يشير إلى أقوال محددة لفرق معينة من النصارى، وهو ما نلحظه من خلال استعراض آيات القرآن الكريم المصورة لعقائد النصارى، فنجد هذه الآيات تعرض هذه العقائد في قوالب مختلفة، غير متطابقة في لفظها ومعناها، وهو ما يشير إلى أن هذه الأقوال المختلفة إنما هي لفرق متباينة ، كلها يزعم انتسابه إلى دعوة عيسى –عليه السلام–.

وقد تناول البحث إشارة القرآن إلى فرقة اليعقوبية من خلال قوله تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ}، وإشارته إلى فرقة الملكانية من خلال قوله تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ} وغيرهما، ثم الكلام على من قال بألوهية مريم، والرهبان، ثم الكلام على الطائفة المؤمنة، وبيان طريقة القرآن في عرض المقولة التي هي محل اتفاق بين النصارى، وإثبات الإشارات القرآنية للفرق النصرانية القائم منها والبائد، في طريقة متفردة للقرآن مع عناية بثبت القول، لا تسمية القائل، وفي خاتمة البحث أهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: المسيح، النصرانية، القرآن، الملكانية، اليعقوبية، مريم، الحواريون

The Qur’anic texts and their significance for the different Christian sects

Ahmed Abdel Rahman Mohamed Mohamed Kassab
Faculty of Fundamentals ،Department of Faith and Philosophy
Egypt، Cairo، Al-Azhar University،of Religion
Email: ahmed.kassab٢٠٠@gmail.com

AbstractIn this research، an aspect of the Holy Qur’an is presented، which is its handling of the sayings of the people of religions. And its title: (Qur’anic texts and their significance for the different Christian sects).
This research includes an introduction، a statement of the reasons for choosing the research، and a research plan. And the preface، in which I explained the Qur’an’s approach to explaining the beliefs، and its method of presenting the beliefs attributed to the Christians.
Then the research Proves that the verses of the Qur’an are a presentation of the opinions of the various Christian sects، This is an attempt to prove that among the verses of the Holy Qur’an there are references to specific sayings of the different Christian sects.
This is what we notice by reviewing the illustrated verses of the Holy Qur’an for the beliefs of the Christians. We find these verses presenting these beliefs in different forms which are not identical in their pronunciation and meaning. and proves that these different sayings are for different Christian sects.
The research dealt with the Qur’an’s reference to the Al-Yaqoubiyyeh Sect Through God’s saying: {They have disbelieved who say that God is the Messiah، the son of Mary}. And his reference to the Catholic sect through God’s saying: {Those who say that God is three have disbelieved.} Then he dealt with the research on who said: Mary and the monks are gods، then he talked about the believing sect، The research showed the method of the Qur’an in presenting the saying that is in agreement among the Christian sects، and I mention the Qur’anic references to the Christian sects، the existing ones and the extinct ones. In a unique way of the Qur’an، with care for establishing the saying، not naming the one who said it، And in the conclusion of the research I mentioned the most important results and recommendations.
Keywords: Christ، Christianity، the Qur'an، Catholic، Jacobites، Mary، the The twelve Apostles.



مقدمة

الحمد لله الذي بحمده يستفتح كل كتاب، وبذكره يصدر كل خطاب،الذي بحمده تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي ختم الله به النبوات، وعلى آله وأصحابه آل الهدى والتقى والبركات.

أما بعد: فإن القرآن والسنة هما الأصلان اللذان منهما استقى المسلمون علومهم التي دونوها، فهما كانا إما المنطلق للعلم، أو مادته والدافع إليه، أو الضابط له.

وفيما يتعلق ببحث الملل والعقائد فقد كان القرآن الكريم أحد أهم الروافد التي اعتمد عليها باحثو الإسلام من حيث عرض المذاهب وضبطها والرد عليها والجواب عن الشبه، فضلا عن الإذن بالبحث والتناول.

وقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو الصادق المصدوق أن اليهود والنصارى افترقوا فرقا كثيرة فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ أَوْ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَالنَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»)[1].

---

(1) أخرجه الترمذي (سنن الترمذي)، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، ك: أَبْوَابُ الْإِيمَانِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ب: مَا جَاءَ فِي افْتِرَاقِ هَذِهِ الأُمَّةِ، برقم(٢٦٤٠)، جـ٥/ ٢٥،الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر،الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

سنن أبي داود، : أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ك: السنة، بَابُ شَرْحِ السُّنَّةِ برقم(٤٥٩٦)، جـ٤/ ١، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن باب افتراق الأمم برقم (٣٩٩٢)، وابن حبان،ك: التاريخ، ب:ذكر افتراق اليهود والنصارى فرقا مختلفة برقم (٦٢٤٧)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجة برقم (٣٩٩٢)، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (١٤٢٩)،

وقد كان الأمر على ما أخبر به الصادق المصدوق، فقد افترقت النصارى فرقاً كثيرة، "وَلَقَدْ أَحْسَنَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ حَيْثُ قَالَ: لَوِ اجْتَمَعَ عَشَرَةٌ مِنَ النَّصَارَى لَافْتَرَقُوا عَلَى أَحَدَ عَشَرَ قَوْلًا"(١). وتقاطعوا وتدابروا، وكفّر بعضهم بعضاً وضلّل بعضهم بعضا.

وقد اعتنى القرآن في إطار منهجه لبيان العقائد وتعليمها بإظهار وعرض العقائد المخالفة ومناقشتها وبيان موقف القرآن منها.

والناظر في القرآن الكريم يلحظ أنه كما اعتنى بتسطير جزء كبير من تاريخ اليهود وأحداث بني إسرائيل بجانب عرض أقوالهم وانحرافاتهم، فإنه قد اعتنى أكثر فيما يتعلق بالنصارى بعرض فاسد أقوالهم وعقائدهم، وحاول ردهم إلى صحيح العقيدة وتعاليم عيسى -عليه السلام-.

وقد اهتم القرآن بعرض أقوال النصارى في العقائد على تنوعها، فها هو يعرض قولهم في عيسى مع اختلافهم فيه، قال تعالى: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" [المائدة: ١٧]، وقال تعالى: "لَقَدْ كَفَرَ

وعند الحاكم برواية: ...كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ، وَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَتَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ، وَاللَّهِ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ لَئِنْ لَمْ تَقُومُوا بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَغَيْرُ ذَلِكَ أَحْرَى أَنْ لَا تَقُومُوا بِهِ» . «هَذِهِ أَسَانِيدُ تُقَامُ بِهَا الْحُجَّةُ فِي تَصْحِيحِ هَذَا الْحَدِيثِ، وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَعَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الْمُزَنِيِّ بِإِسْنَادَيْنِ تَفَرَّدَ بِأَحَدِهِمَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زِيَادٍ الْأَفْرِيقِيُّ، وَالْآخَرُ كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيُّ، وَلَا تَقُومُ بِهِمَا الْحُجَّةُ»، وعلق الذهبي: هذه أسانيد تقوم بها الحجة.(المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا،برقم: (٤٤٣)، جـ١/ ٢١٨، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠)

(١)تفسير القرآن العظيم، : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ٢/ ٤٧٩، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩

الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " [المائدة: ٧٣].

كما اهتم ببيان عقيدتهم في أمه مريم –عليها السلام– وبيان الحق فيها، قال تعالى: "مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ" [المائدة: ٧٥].

كما عرض القرآن اختلافهم في رفع عيسى –عليه السلام–، فقال: "وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا"[النساء: ١٥٧].

وقد قصدت في هذا البحث أن أعرض أقوال فرق النصارى التي صورها القرآن الكريم، والتي حرص على عرضها، ونبه على اختلافها في ذاتها، وتعارضها مع العقل والواقع، وتنازع القائلين بها وتباغضهم، مع وحدة انتسابهم إلى المسيح –عليه السلام–، فقال تعالى"وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ"[المائدة: ١٤].

وهذا المعنى نحن صائرون إليه إذا قلنا إن الضمير في قوله: (بينهم) عائد على (الذين قالوا إنا نصارى) وهو قول (الربيع بن أنس) (١) ورجحه الطبري.(١)

---

(١)الرّبيع بْن أنس بْن زِيَاد الْبكْرِيّ سكن مرو يروي عَن أنس بْن مَالك وأبي العالية والحسن البصري وغيرهم، روى عَنهُ بْن الْمُبَارك وَأَبُو جَعْفَر الرَّازِيّ وسليمان التيمي وسليمان بن عامر البزري وعيسى بن عبيد الكندي ومقاتل بن حيان وابن المبارك وغيرهم قال العجلي بصري صدوق وقال أبو حاتم صدوق وهو أحب إلي في أبي العالية من أبي خلدة وقال النسائي ليس به بأس قال بن سعد مات في خلافة أبي جعفر المنصور. قلت وقال ابن معين كان يتشيع فيفرط وذكره ابن حبان في الثقات وقال الناس يتقون من حديثه ما كان من رواية أبي جعفر عنه لأن في أحاديثه عنه اضطرابا كثيرا وذكر الذهبي أنه توفي سنة "١٣٩" أو سنة "١٤٠". (انظر: الثقات –لابن حبان–، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان،٤/ ٢٢٨، ط: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣،

ففي الآية دليل على وقوع الاختلاف والتباغض بين الذين رفعوا نفس الشعار فقالوا: إنا نصارى، وإشارة إلى أحد أسباب هذا الاختلاف بل العداوة ألا وهو فقدان أصلهم المقدس أو بعضه؛ فـ" الإنجيل كان كتاباً موجوداً ومعروفاً لدى النصارى الأوائل بأنه إنجيل الله أو إنجيل المسيح، إلا أن هذا الإنجيل لا نجده بين الأناجيل الموجودة بين يدي النصارى اليوم: فأين هو؟ على النصارى أن يجيبوا على هذا السؤال، أو يعترفوا بأنهم فقدوه في زمن مبكر من تاريخهم، ولعل هذا هو الأرجح. إذ يقول الله عز وجل: {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [المائدة: آية (١٤)] .

وقد صار عند النصارى بدل الإنجيل الواحد أربعة أناجيل يجعلونها في مقدمة كتابهم العهد الجديد، ولا ينسبون أياً منها إلى المسيح عليه السلام، وإنما هي منسوبة إلى متى ومرقص ولوقا ويوحنا – الذي يزعم النصارى أن اثنين منهم من الحواريين وهما متى ويوحنا، والآخرين أحدهما مرقص تلميذ بطرس، والآخر لوقا تلميذ بولس في زعمهم."[٢]

فالمقصد الرئيس في هذا البحث هو بيان أقوال فرق النصارى من خلال استعراض آيات القرآن الكريم، وإثبات أن القرآن قد قصد من عرض العقائد المتعددة المتضادة المتنسبة إلى النصارى الإشارة إلى أقوال فرقهم المختلفة، مع بيان تفرد القرآن الكريم في طريقة عرض هذه الأقوال المتعددة.

تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ٣/ ٢٣٨، ٢٣٩، ط:مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ).

[١] انظر: جامع البيان في تأويل القرآن(تفسير الطبري)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، ١٠/ ١٣٩، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

[٢]دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز الخلف/١٩٨، ١٩٩، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

أسباب اختيار الموضوع:

١: بيان عناية القرآن الكريم ببيان آراء أهل الكتاب وخاصة النصارى والرد عليهم.

٢: إظهار أن القرآن الكريم قد اهتم بعرض أقوال فرق النصارى المختلفة، وميز بينها تمييزا بعيدا عن الخلط، وضابطا للواقع.

٣: بيان منهج القرآن الكريم في عرض عقائد النصارى، وهو منهج يتضمن أحيانا عرض القول المنسوب للمذهب، وأحيانا يتضمن عرض لازم قول المذهب، هذا اللازم الضروري للقول الذي يبين أحيانا حقيقة قبح القول، فكم من كلمة حق أريد بها باطل، وكم من كلمة قبيحة قد حوت شناعة أعظم منها لا يقبلها العقل ولا يستطيع أن ينطق بها اللسان.

٤: بيان تناقض من انحرف عن صحيح الشرع؛ حيث تأتي أقواله منافية لصحيح العقول، متضادة ينفي آخرها أولها، قال تعالى: "وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" [النساء: عجز الآية٨٢]

٥: دعوة النصارى من أهل الكتاب وهم من أمة الدعوة إلى العودة إلى صحيح الدين وذلك ببيان حال الطائفة المؤمنة من النصارى، وبيان الدعوة الصحيحة لعيسى، وتجديد الإيمان به -عليه السلام- واتباع بشارته بمحمد -صلى الله عليه وسلم-،قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ" [الصف:٦]

٦: بيان كثرة اختلاف النصارى بعد عيسى -عليه السلام- وتعدد فرقهم، وتشتت أقوالهم.

وسأقتصر في هذا البحث على بيان آيات من القرآن مثبتة لأقوال فرق النصارى، وعناية القرآن بالتمييز بين هذه الفرق والأقوال، وفهم علماء الإسلام لهذه المعاني في ضوء هذه الآيات، دون العناية بالنقد والنقض لأقوال هذه الفرق، فهو مقصد لا نلتزمه في هذا البحث.

وقد قسمت البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، وخاتمة:

أما المقدمة: فقد بينت فيها أسباب اختيار الموضوع، وبيان أجزاء البحث.

وأما التمهيد: فقد أشرت فيه إلى منهج القرآن في إثبات العقائد، وطريقته في عرض ما نسب إلى النصارى من عقائد.

المبحث الأول: تحقيق أن آيات القرآن هي بيان لآراء فرق النصارى.

المبحث الثاني: الكلام على قوله تعالى: لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة.

المبحث الثالث: الكلام على قوله تعالى: لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم

المبحث الرابع: الكلام على من قال إن عيسى ابن الله.

المبحث الخامس: الكلام على من قال بألوهية مريم، والرهبان.

المبحث السادس: الكلام على الطائفة المؤمنة.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث، وثبت المراجع.

التمهيد:

إن منهج القرآن الكريم في تقرير العقائد يقوم على أصلين:

أحدهما: عرض العقائد الباطلة ومناقشتها، وبيان فسادها.

والأصل الثاني: هو تقرير العقائد الصحيحة بأدلتها .

فالقرآن الكريم يستعمل طريقتي الهدم والبناء في تعليم العقائد، ولا يستعملها على التوالي كما يفعل أصحاب المصنفات والتآليف وإنما يستعملها على التوازي؛ فالمتأمل في مناقشة القرآن لأهل الأهواء والملل يرى هذا المنهج واضحا، وعلى سبيل المثال نقرأ سورة الإخلاص، قال تعالى: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)" [الإخلاص: ١ – ٤].

وفي تعرض القرآن الكريم لأقوال أهل الملل والأديان فضلا عن كونه تثبيتا لعقائد أهل الإسلام فإنه مخاطبة لهؤلاء لكونهم من أمة النبي –صلى الله عليه وسلم–، فقد سمى –صلى الله عليه وسلم– اليهود والنصارى بأمته –أمة الدعوة– فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».[1]

فكانت عناية القرآن والسنة ببيان أقوال النصارى وعقائدهم على اختلافها وتعددها، وهو عرض يهتم أكثر بالمقولة وبيان فسادها، وبيان تعدد الأقوال الفاسدة في العقيدة الواحدة بتعدد الفرق، وصدق الله حيث يقول: " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا"[النساء:٨٢].

---

[1] صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ، برقم (٢٤٠)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

وقد لفت القرآن النظر إلى وقوع التنازع والعداوة بين أهل الكتاب، سواء بين اليهود وبين النصارى، فقال تعالى: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ" [البقرة: ١١٣].

أو بين اليهود بعضهم بعضا أو بين النصارى بعضهم بعضا، فقال تعالى: "وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ" [المائدة: ١٤].

وقد عرف المسلمون فيهم هذا التنازع وعملوا بمقتضاه من خلال الآية حتى قَالَ الشَّعْبِيُّ: «لاَ تَجُوزُ شَهَادَةُ أَهْلِ المِلَلِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى»: {فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ} [المائدة: ١٤] وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلاَ تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: {آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ} [البقرة: ١٣٦]"(١)

كما نبه القرآن على اختلافهم بالباطل مع وضوح الحق الذي جاء به عيسى، فقال تعالى: " وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦٤) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ " [الزخرف: ٦٣ – ٦٥]. قال الطبري: " قال قتادة: هم الذين قال الله: (فَاخْتَلَفَ الأحْزَابُ) اختلفوا فيه –في عيسى عليه السلام– فصاروا أحزابا."(٢)

---

(١)الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي،المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب: الشَّهَادَاتِ، بَابُ: لاَ يُسْأَلُ أَهْلُ الشِّرْكِ عَنِ الشَّهَادَةِ وَغَيْرِهَا، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، جـ٣/ ١٨١، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٢) تفسير الطبري، ١٨/ ١٩٥.

ومن فوائد عرض القرآن الكريم لآراء أهل الأهواء والملل ومناقشتها في القرآن إعطاء إباحة مضمرة لأتباع الأمة بمعرفة ونقل ما عند أهل الأهواء والملل؛ فإنه لولا أن الله تعالىٰ قد حكىٰ هذه الأقوال الفاسدة وأجاب عنها لكان لقائل أن يقول: إنه لا يجوز لنا الاطلاع علىٰ ما عند المخالفين ولا حكاية قولهم، ولولاه لما صدق أصحاب الفطر السليمة والعقول المستقيمة أن بعضا ممن ينتسبون إلىٰ جملة العقلاء يعتنقون أمثال هذه الأقوال مما لا يقوله البلهاء، يقول ابن حزم: "وَلَوْلَا أَن الله تَعَالَىٰ وصف قَوْلهم فِي كِتَابه إِذْ يَقُول تَعَالَىٰ {لقد كفر الَّذين قَالُوا إِن الله هُوَ الْمَسِيح ابْن مَرْيَم}، وَإِذ يَقُول تَعَالَىٰ حاكياً عَنْهُم {إِن الله ثَالِث ثَلَاثَة} وَإِذ يَقُول تَعَالَىٰ {أَأَنْت قلت للنَّاس اتخذوني وَأمي إِلَهَيْنِ من دون الله} لما انْطلق لِسَان مُؤمن بحكاية هَذَا القَوْل الْعَظِيم الشنيع السَّمْج السخيف.

وتالله لَوْلَا أننا شاهدنا النَّصَارَىٰ مَا صدقنا أَن فِي الْعَالم عقلا يسع هَذَا الْجُنُون، ونعوذ بِاللهَّ من الخذلان".[1]

وفي هذا المعنىٰ نقل القرطبي عند تفسيره قوله تعالىٰ: (وقالت النصارىٰ المسيح ابن الله) "قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: فِي هَذَا دَلِيلٌ مِنْ قَوْلِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ أَخْبَرَ عَنْ كُفْرِ غَيْرِهِ الَّذِي لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَبْتَدِئَ بِهِ لَا حَرَجَ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَنْطِقُ بِهِ عَلَىٰ مَعْنَىٰ الِاسْتِعْظَامِ لَهُ وَالرَّدِّ عَلَيْهِ وَلَوْ شَاءَ رَبُّنَا مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَحَدٌ، فَإِذَا مَكَّنَ مِنْ إِطْلَاقِ الْأَلْسُنِ بِهِ فَقَدْ أَذِنَ بِالْإِخْبَارِ عَنْهُ عَلَىٰ مَعْنَىٰ إِنْكَارِهِ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالرَّدِّ عَلَيْهِ بالحجة والبرهان."[2]

---

[1] الفصل في الملل والأهواء والنحل، : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفىٰ: ٤٥٦هـ)، جـ١/ ٤٨، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة.

[2] الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفىٰ: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،٨/ ١١٧، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

المبحث الأول: تحقيق أن آيات القرآن هي بيان لآراء فرق النصارى.

قوام هذا المبحث على إثبات أن من آيات القرآن الكريم ما يشير إلى أقوال محددة لفرق معينة من النصارى، وهو ما نلحظه من خلال استعراض آيات القرآن الكريم المصورة لعقائد النصارى، فنجد هذه الآيات تعرض هذه العقائد في قوالب مختلفة، غير متطابقة في لفظها ومعناها، وهو ما يشير إلى أن هذه الأقوال المختلفة إنما هي لفرق متباينة، كلها يزعم انتسابه إلى دعوة عيسى –عليه السلام–.

وقد فهم علماء أمة الإسلام، ومنذ العصور المتقدمة أن هذا العرض من القرآن الكريم إنما هو تصوير لآراء فرق النصارى، المعاصر منها لهم والقديم، وها هو ترجمان القرآن وحبر الأمة يقسم فرق النصارى بناء على تصويرات القرآن لعقائدهم، فـ"قال ابن عباس: وذلك أن اليعقوبية وهم صنف من النصارى قالوا: عيسى هو الله. وقالت النسطورية: هو ابن الله. وقالت المرقوسية– ويقال لهم الملكانية–: هو ثالث ثلاثة"(1).

وها هو أقدم مصنفي علم التفسير يورد نفس التقسيم لفرق النصارى على نفس أساس التقسيم السابق، فيقول مقاتل بن سليمان: "فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡ في الدين، والأحزاب هم: النسطورية والمار يعقوبية والملكانية تحازبوا من بينهم في عيسى– عليه السلام–؛ فقالت النسطورية: عيسى ابن الله، وقالت المار يعقوبية: إن الله هو المسيح بن مريم، وقالت الملكانية: إن الله ثالث ثلاثة. (فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا) يعني النصارى الذين قالوا في عيسى ما قالوا مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ".(2)

كذلك شيخ المفسرين (الطبري) يلحظ انقسام فرق النصارى بسبب عقيدتهم في المسيح –عليه السلام– على النحو الذي أورده القرآن الكريم، فيقول: "كَانُوا فِيمَا بَلَغَنَا يَقُولُونَ: ٱلۡإِلَٰهُ ٱلۡقَدِيمُ

---

(1) بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، : أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، تحقيق: د. محمود مطرجي، ١/ ٣٦٠، دار النشر: دار الفكر–بيروت.

(2) تفسير مقاتل بن سليمان، : أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، ٣/ ٨٠٠، ٨٠١، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت.

جَوْهَرٌ وَاحِدٌ يَعُمُّ ثَلَاثَةَ أَقَانِيمَ (١): أَبًا وَالِدًا غَيْرَ مَوْلُودٍ ، وَابْنًا مَوْلُودًا غَيْرَ وَالِدٍ ، وَزَوْجًا مُتَتَبَّعَةً بَيْنَهُمَا. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مُكَذِّبًا لَهُمْ فِيمَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ: {وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ} [المائدة: ٧٣] يَقُولُ: مَا لَكُمْ مَعْبُودٌ أَيُّهَا النَّاسُ إِلَّا مَعْبُودٌ وَاحِدٌ ، وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ بِوَالِدٍ لِشَيْءٍ وَلَا مَوْلُودٍ ، بَلْ هُوَ خَالِقُ كُلِّ وَالِدٍ وَمَوْلُودٍ {وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ} [المائدة: ٧٣] يَقُولُ: إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا قَائِلُو هَذِهِ الْمَقَالَةِ عَمَّا يَقُولُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ: اللَّهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ {لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المائدة: ٧٣] يَقُولُ: " لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ ، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ الْمَقَالَةَ الْأُخْرَى هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ؛ لِأَنَّ الْفَرِيقَيْنِ كِلَاهُمَا كَفَرَةٌ مُشْرِكُونَ ، فَلِذَلِكَ رَجَعَ فِي الْوَعِيدِ بِالْعَذَابِ إِلَى الْعُمُومِ. وَلَمْ يَقُلْ: لَيَمَسَّنَّهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ قِيلَ كَذَلِكَ صَارَ الْوَعِيدُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ خَاصًّا لِقَائِلِ الْقَوْلِ الثَّانِي ، وَهُمُ الْقَائِلُونَ: اللَّهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ، وَلَمْ يَدْخُلْ فِيهِمُ الْقَائِلُونَ: الْمَسِيحُ هُوَ اللَّهُ. فَعَمَّ بِالْوَعِيدِ تَعَالَى ذِكْرُهُ كُلَّ كَافِرٍ "(٢).

فالطبري ههنا يرى أن قوله تعالى (ثالث ثلاثة) دلالة على مقولة فرقة من فرق النصارى مشيرا إلى التفسير الأقدم لهذا التثليث عند النصارى باعتبار أن آخر أضلاع الثالوث هو مريم، وهذا بخلاف مقولة من قال (إن المسيح هو الله)، فهذا تمييز لفرقتين من فرق النصارى أشار إليهما القرآن الكريم بعبارتين مختلفتين.

---

(١) الأقانيم جمع أقنوم، والأقنوم: كلمة أقنوم باليونانية هي (هيبوستاسيس)، وهي مكونة من مقطعين: (هيبو) وتعني: تحت، و(ستاسيس) وتعني: قائم أو واقف، وبهذا فإن كلمة (هيبوستاسيس) تعني: تحت القائم، ولاهوتيًا معناها: ما يقوم عليه الجوهر أو ما يقوم فيه الجوهر أو الطبيعة.

والأقنوم: هو كائن حقيقي له شخصيته الخاصة به، وله إرادة، ولكنه واحد في الجوهر والطبيعة مع الأقنومين الآخرين بغير نقصان. انظر: (مائة سؤال وجواب في العقيدة المسيحية الأرثوذكسية، الأنبا بيشوي مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري وسكرتير المجمع المقدس (ص ١٢)، ط١، دار نوبار-مصر ٢٠٠٤م).

(٢) تفسير الطبري، ٨/ ٥٨٠.

وكذلك نراه يورد المعنى نفسه في تفسير "قَوْله تَعَالَى:" فَاخْتَلَفَ الْأَحْزابُ مِنْ بَيْنِهِمْ" قَالَ قَتَادَةُ: يَعْنِي مَا بَيْنَهُمْ، وَفِيهِمْ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا- أَنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، خَالَفَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَالسُّدِّيُّ. الثَّانِي- فِرَقُ النَّصَارَى مِنَ النُّسْطُورِيَّةِ وَالْمَلْكِيَّةِ وَالْيَعَاقِبَةِ، اخْتَلَفُوا فِي عِيسَى، فَقَالَ النُّسْطُورِيَّةُ: هُوَ ابْنُ اللَّهِ. وَقَالَتِ الْيَعَاقِبَةُ: هُوَ اللَّهُ. وَقَالَتِ الْمَلْكِيَّةُ: ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ أَحَدُهُمُ اللَّهُ، قَالَهُ الْكَلْبِيُّ وَمُقَاتِلٌ"(1).

وقد مال ابن كثير (2) إلى أن الآيات التي جاءت في القرآن عن النصارى كانت عرضا ونقضا لأقوال فرقهم المختلفة، فقال: " فَهَذِهِ الْآيَاتُ الْمَكِّيَّاتُ(3) الْكَرِيمَاتُ تَشْمَلُ الرَّدَّ عَلَى سَائِرِ فِرَقِ الْكَفَرَةِ ; مِنَ الْفَلَاسِفَةِ وَمُشْرِكِي الْعَرَبِ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، الَّذِينَ ادَّعَوْا وَزَعَمُوا بِلَا عِلْمٍ، أَنَّ لِلَّهِ وَلَدًا، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ الْمُعْتَدُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَلَمَّا كَانَتِ النَّصَارَى -عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ الْمُتَتَابِعَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ- مِنْ أَشْهَرِ مَنْ قَالَ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ، ذُكِرُوا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرًا ; لِلرَّدِّ عَلَيْهِمْ وَبَيَانِ تَنَاقُضِهِمْ، وَقِلَّةِ عِلْمِهِمْ، وَكَثْرَةِ جَهْلِهِمْ، وَقَدْ تَنَوَّعَتْ أَقْوَالُهُمْ فِي كُفْرِهِمْ ; وَذَلِكَ أَنَّ الْبَاطِلَ كَثِيرُ التَّشَعُّبِ وَالِاخْتِلَافِ وَالتَّنَاقُضِ، وَأَمَّا الْحَقُّ فَلَا يَخْتَلِفُ وَلَا يَضْطَرِبُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا [النِّسَاءِ: ٨٢]. فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْحَقَّ يَتَّحِدُ وَيَتَّفِقُ، وَالْبَاطِلَ يَخْتَلِفُ وَيَضْطَرِبُ. فَطَائِفَةٌ مِنْ ضُلَّالِهِمْ وَجُهَّالِهِمْ زَعَمُوا أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ اللَّهُ – تَعَالَى اللَّهُ-، وَطَائِفَةٌ قَالُوا: هُوَ ابْنُ اللَّهِ – عَزَّ اللَّهُ-، وَطَائِفَةٌ قَالُوا: هُوَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ –

(1)تفسير القرطبي،١٦/ ١٠٩.

(2) حيث قال: "فَإِنَّ الْمَسِيحَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَّا رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ تَفَرَّقت أَصْحَابُهُ شِيَعًا بَعْدَهُ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِمَا بَعَثَهُ اللَّهُ بِهِ عَلَى أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَابْنُ أَمَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ غَلَا فِيهِ فَجَعَلَهُ ابْنَ اللَّهِ، وَآخَرُونَ قَالُوا: هُوَ اللَّهُ. وَآخَرُونَ قَالُوا: هُوَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ. وَقَدْ حَكَى اللَّهُ مَقَالَاتِهِمْ فِي الْقُرْآنِ، ورد عَلَى كُلِّ فَرِيقٍ": (تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ٤٧).

(3) يعني أمثال قوله تعالى: (قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) [يُونُسَ: ٦٨ – ٧٠].

جَلَّ اللهُ-، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي أَوَّلِ سُورَةِ " الْمَائِدَةِ ": لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [الْمَائِدَةِ: ١٧]. فَأَخْبَرَ تَعَالَىٰ عَنْ كُفْرِهِمْ وَجَهْلِهِمْ، وَبَيَّنَ أَنَّهُ الْخَالِقُ الْقَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، الْمُتَصَرِّفُ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَأَنَّهُ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ وَإِلَهُهُ. وَقَالَ فِي أَوَاخِرِهَا: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ [الْمَائِدَةِ: ٧٢ – ٧٥]."(١)

وبهذا القول قال جمهرة من علماء الإسلام، فقال الملا علي القاري: " تَنْبِيها علىٰ اخْتِلَاف طوائف النَّصَارَىٰ حَيْثُ قَالَ بَعضهم إِن الله ثَالِث ثَلَاثَة وَقَالَ آخَرُونَ إِن الله هُوَ الْمَسِيح ابْن مَرْيَم وَحده أَي من غير اندراجه في الثلاثة".(٢)

فآيات القرآن تصور عقائد فرق النصارىٰ المختلفة، وبالأحرىٰ القديمة منها، وإن كان ما استقر عليه النصارىٰ لا يبعد عما ذكره القرآن، قال الطبري: "القول في تأويل قوله: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ

---

(١)البداية والنهاية، تأليف: عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤ هـ)، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر، ٢/٤٥٨، ٤٥٩، الناشر: هجر للطباعة والنشر – الجيزة، الطبعة: الاولىٰ ١٤١٧هـ – ١٩٩٧ م.

(٢)الرد علىٰ القائلين بوحدة الوجود، : علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفىٰ: ١٠١٤هـ)، المحقق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا/ ١٢٢، ١٢٣، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م

أَلِيمٌ (٧٣) } قال أبو جعفر: وهذا أيضًا خبر من الله تعالىٰ ذكره عن فريق آخر من الإسرائيليين الذين وصف صفتهم في الآيات قبل: أنه لما ابتلاهم بعد حِسْبَانهم أنهم لا يُبتلون ولا يفتنون، قالوا كفرًا بربهم وشركًا:"الله ثالث ثلاثة".وهذا قولٌ كان عليه جماهير النصارىٰ قبل افتراق اليعقوبية والملكية والنَّسطورية."(١)

ولم يقف الأمر عند جملة المفسرين، وإنما رأينا علماء الإسلام الذين اهتموا بتدوين أقوال أهل الملل والأديان يرون كذلك أن القرآن يقصد حكاية أقوال فرق من النصارىٰ بعينها، فيقول الشهرستاني: "وصرحت الملكانية بأن الجوهر غير الأقانيم، وذلك كالموصوف والصفة وعن هذا صرحوا بإثبات التثليث وأخبر عنهم القرآن {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ}"(٢).

القائلون بخلاف ذلك:

بجانب جمهرة العلماء التي نحت إلىٰ اعتقاد أن القرآن الكريم يحرص في عرضه لمقولات النصارىٰ العقدية علىٰ التمييز بين أقوال فرقهم المختلفة وجدنا بعضا من العلماء لا يميل إلىٰ ذلك، وإنما يرىٰ أن هذه الأقوال إنما هي جملة أقوال النصارىٰ، ولم يقصد القرآن التمييز بين أقوال الفرق.

ونجد علىٰ رأس هذا الفريق (ابن تيمية)؛ فنراه يقول: "فَقَدْ ذَكَرَ كُفْرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ فِي آيَةٍ وَنَهَىٰ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ ذَلِكَ فِي آيَةٍ أُخْرَىٰ فَهَذَانِ مَوْضِعَانِ ذَكَرَ فِيهِمَا التَّثْلِيثَ عَنْهُمْ.

وَفِي مَوْضِعَيْنِ ذَكَرَ كُفْرَهُمْ بِقَوْلِهِمْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأَمَّا ذِكْرُ الْوَلَدِ عَنْهُمْ فَكَثِيرٌ.

وَاعْلَمْ أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ هَذِهِ الْأَقْوَالَ الثَّلَاثَةَ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ عَنِ النَّصَارَىٰ هِيَ قَوْلُ الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ الْيَعْقُوبِيَّةُ وَهُمْ شَرُّهُمْ وَهُمُ السُّودَانُ مِنَ الْحَبَشَةِ وَالْقِبْطُ، ثُمَّ الْمَلْكَانِيَّةُ وَهُمْ أَهْلُ الشَّمَالِ مِنَ الشَّامِ وَالرُّومِ، ثُمَّ النَّسْطُورِيَّةُ وَهُمْ نَشَئُوا فِي دَوْلَةِ الْمُسْلِمِينَ، مِنْ زَمَنِ الْمَأْمُونِ وَهُمْ قَلِيلٌ...

---

(١) تفسير الطبري، ١٠/ ٤٨٢.

(٢)الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبىٰ بكر أحمد الشهرستاني (المتوفىٰ: ٥٤٨هـ)، ٢/ ٢٧، الناشر: مؤسسة الحلبي.

وقد ذكر المفسرون أن هذا إخبار بتفرقهم إلى هذه الأصناف الثلاثة وغير ذلك...

القول الثاني -وهو الذي نحن عليه- أن المراد بذلك جعلهم للمسيح إلها، ولأمه إلها مع الله، كما ذكر ذلك في قوله: {يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق} [المائدة: ١١٦] إلى قوله: {ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم} [المائدة: ١١٧] الآية.

ويدل على ذلك قوله: {لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم} [المائدة: ٧٣] {أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم} [المائدة: ٧٤] {ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام} [المائدة: ٧٥] فقوله تعالى: {ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة} [المائدة: ٧٥] عقب قوله: {لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة} [المائدة: ٧٣] يدل على أن التثليث الذي ذكره الله عنهم اتخاذ المسيح ابن مريم وأمه إلهين، وهذا واضح على قول من حكى من النصارى أنهم يقولون بالحلول في مريم والاتحاد بالمسيح، وهو أقرب إلى تحقيق مذهبهم.

وعلى هذا فتكون كل آية مما ذكره الله من الأقوال تعم جميع طوائفهم، وتعم أيضا قولهم بتثليث الأقانيم، وبالاتحاد والحلول، فتعم أصنافهم وأصناف كفرهم، ليس يختص كل آية بصنف، كما قال من يزعم ذلك، ولا تختص آية بتثليث الأقانيم، وآية بالحلول والاتحاد، بل هو سبحانه ذكر في كل آية كفرهم المشترك، ولكن وصف كفرهم بثلاث صفات وكل صفة تستلزم الأخرى: أنهم يقولون المسيح هو الله، ويقولون هو ابن الله، ويقولون إن الله ثالث ثلاثة، حيث اتخذوا المسيح وأمه إلهين من دون الله، هذا بالاتحاد، وهذه بالحلول، وتبين بذلك إثبات ثلاثة آلهة منفصلة غير الأقانيم. "[١]

---

[١] الفتاوى الكبرى لابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، ٦/ ٥٨٠ : ٥٨٩، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

فابن تيمية يقر أن جمهرة من المفسرين رأوا أن الآيات دالة على فرقهم المختلفة، وهذا قول غير مرضي عنده، بل إنه يرى أن كل آية تشمل الجميع وترد عليهم.(١)

وقد مال الألوسي إلى مثل قول (ابن تيمية) فرأى أن ما ذكره القرآن يشمل أقوال جميع فرقهم(٢)، فقال: "ويعلم مما ذكرنا أنه لا فرق عندهم بين أن يقال إن الله تعالى هو المسيح وبين أن يقال إن المسيح ابنه وبين أن يقال إنه سبحانه ثالث ثلاثة ولذا جاء في التنزيل كل من هذه الأقوال منسوبا إليهم ولا حاجة إلى جعل كل قول لقوم منهم كما قال غير واحد من المفسرين والمتكلمين."(٣).

---

(١)ونلحظ في هذا النص متابعة ابن تيمية للشهرستاني في نسبة فرقة النسطورية إلى زمن المامون، وهو خطأ؛ إذ أن فرقة النسطورية ظهرت في القرن الخامس الميلادي على يد أسقف القسطنطينية نسطور الذي شايعه بعض الأساقفة والفلاسفة، وكان يرى أن في المسيح جزءا لاهوتياً، لكنه ليس من طبيعة المسيح البشرية، فلم يولد هذا الجزء من العذراء التي لا يصح أن تسمى أم الله، وكان يقول: إني أعترف موافقًا أن كلمة الله هو قبل كل الدهور، إلا أني أنكر على القائل بأن مريم والدة الله، فذلك عين البطلان، لأنها كانت امرأة، والحال أنه من المستحيل أن يولد الله من امرأة، ولا أنكر أنها أم السيد المسيح، إلا أن الأمومة من حيث الناسوت. (انظر: تاريخ الكنيسة القبطية، منسى يوحنا، ص (٢٨١)، مطبعة اليقظة، الطبعة الأولى، ١٩٣٤م.)

وقد تعجب ابن الأثير رحمه الله من قول من قال إنه كان في زمن المأمون، قال رحمه الله "ومن العجائب أن الشهرستاني مصنف كتاب: " نهاية الإقدام في الأصول "، ومصنف كتاب: " الملل والنحل "، في ذكر المذاهب والآراء القديمة والجديدة، ذكر فيه أن نسطور كان أيام المأمون، وهذا تفرد به، ولا أعلم له في ذلك موافقا) (الكامل في التاريخ، : عز الدين ابن الأثير ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (١/ ٣٠١)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.)

(٢) وإن كان الألوسي في تفسيره جعل بعض الآيات منطبقة على مقولة بعض فرقهم، والبعض الآخر مقولة لفرق أخر.

(٣)روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، : شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية،١٥/ ٥١٤، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

وما ذكره ابن تيمية ومال إليه الألوسي يخالف ما عليه جمهرة المفسرين، كما يخالف ما أشار إليه مصنفو الملل والأديان، فالمرجح عندنا قول الجمهور، وقد نقلنا هذا القول عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وعن بعض السلف على ما سنفصله في المباحث التالية.

قلت: والذي يظهر لي أن الله تعالى إذا حكى المقولة من أقوال النصارى دون أن ينسبها إليهم بلفظ النصارى، وإنما ينسبها إليهم بلفظ (الذين قالوا) كما إذا قال : (لقد كفر الذين قالوا) فإن المقصود بها قول طائفة منهم، ولم يسم أصحابها لأنهم لا يثبتون على قول، ثم إن مقولاتهم تتداخل وتتشابه، فكان الأحكم ضبط المقولات لا حصر القائلين.

وأما إذا ذكر القرآن المقولة منسوبة إلى النصارى فليُعلم أنها مقولة عامتهم، وأنهم مجمعون على القول بها وإن اختلفوا في توجيهها وتفصيل كيفيتها ومعناها، كما إذا قال الله تعالى: "وقالت النصارى المسيح ابن الله" -تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا-.

المبحث الثاني:

الكلام على قوله تعالى: لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة:

يقول الله تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ} في هذه الآية يصور القرآن الكريم مقولة من أشنع مقولات النصارى، والتي جعلها جملة من علماء الإسلام معبرة عن مذهب الملكانية من النصارى، يقول الشهرستاني: "وصرحت الملكانية بأن الجوهر غير الأقانيم، وذلك كالموصوف والصفة وعن هذا صرحوا بإثبات التثليث وأخبر عنهم القرآن {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ}."(١) وهذه الآية تصوير لمذهب من قال إن المسيح –عليه السلام– على طبيعتين: لاهوتية وناسوتية، وهم الملكانية، وقد تَبِعَهم على هذا القول الكاثوليك الذين يقولون بالطبيعتين والمشيئتين.

وقد تكونت عقائد هذا المذهب مع امتداد الزمان وتتابع المجامع المسكونية، حيث بدأ إقراره في مجمع نيقية(٢) سنة ٣٢٥م، بتأييد الملك قسطنطين لمذهب تعدد الآلهة واعتبار المسيح ابناً وإلهاً مستقلاً.

وجاء في أمانة هذا المجمع: "نؤمن بالله الواحد الآب مالك كل شيء، وصانع ما يرى وما لا يرى، وبالابن الواحد يسوع المسيح، ابن الله الواحد، بكر الخلائق كلها، الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء من أجلنا، ومن أجل معشر الناس. ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، وصار إنسانا، وحبل به، وولد من مريم البتول، وقتل وصلب أيام فيلاطوس ودفن، ثم قام في

---

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ٢/ ٢٧.

(٢)مجمع نيقية: نيقة أو نيقية هي مدينة قديمة في آسيا الصغرى، وتعد اليوم (ازنيق) في تركيا على بحيرة ازنيق، وكانت عاصمة الإمبراطورية البيزنطية من سنة ١٢٠٤م إلى سنة ١٢٦١م، انعقد هذا المجمع سنة ٣٢٥م، في عهد الإمبراطور قسطنطين الكبير؛ للنظر في بدعة آريوس، وكان عدد آباء هذا المجمع هو ٣١٨ أسقفًا، بالإضافة على عدد وافر من القسوس والشمامسة، لم يعتن هذا المجمع بتسجيل أعماله أو محاضر جلساته، لا باللغة اليونانية، ولا باللغة اللاتينية، وكل ما وصل من أعماله من كتابات المؤرخين. انظر: قوانين المجامع المسكونية وخلاصة قوانين المجامع المكانية، الراهب القس أثناسيوس المقاري،(ص: ٢٦-٣٣)، الطبعة الأولى، مطابع النوبار-مصر ٢٠١٣م.

اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء. ونؤمن بروح القدس الواحد، روح الحق الذي يخرج من أبيه، وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة قدسية مسيحية "(١).

فكان من نتيجة هذا المجمع أن"اتَّفَقَ الْكُلُّ عَلَى لَعْنِ آرِيُوسَ وَأَصْحَابِهِ(٢)، وَلَعَنُوهُ وَكُلَّ مَنْ قَالَ بِمَقَالَتِهِ، وَوَضَعُوا الْأَمَانَةَ، وَقَالُوا: إِنَّ الِابْنَ مَوْلُودٌ مِنَ الْأَبِ قَبْلَ كَوْنِ الْخَلَائِقِ، وَإِنَّ الِابْنَ مِنْ طَبِيعَةِ الْأَبِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَكُونَ فِصْحُ النَّصَارَى يَوْمَ الْأَحَدِ، لِيَكُونَ بَعْدَ فِصْحِ الْيَهُودِ، وَأَنْ لَا يَكُونَ فِصْحُ الْيَهُودِ مَعَ فِصْحِهِمْ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، وَمَنَعُوا أَنْ يَكُونَ لِلْأُسْقُفِّ زَوْجَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَسَاقِفَةَ مُنْذُ وَقْتِ الْحَوَارِيِّينَ إِلَى مَجْمَعِ الثَّلَاثِمِائَةِ وَالثَّمَانِيَةَ عَشَرَ كَانَ لَهُمْ نِسَاءٌ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا صَيَّرُوا وَاحِدًا أُسْقُفًّا

---

(١) المصدر نفسه، ٢/ ٢٨.

(٢) كانت مقولة أريوس هي السبب الخاص الذي له انعقد مجمع نيقية، وهو ما يسمونه في تاريخهم بدعة أريوس، كان هذا الرجل في مصر داعية قوى الدعاية، جريئاً فيها، واسع الحيلة، بالغ الأدب، قد أخذ على نفسه مقاومة كنيسة الإسكندرية فيما تبثه بين المسيحيين من أُلوهية المسيح وتدعو إليه، فقام هو محارباً

ذلك، مقراً بوحدانية المعبود، منكراً ما جاء في الأناجيل مما يوهم تلك الأُلوهية.

وكانت مقولته هي: التَّوْحِيد الْمُجَرّد وَأَن عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام عبد مَخْلُوق وَأَنه كلمة الله تَعَالَى الَّتِي بهَا خلق السَّمَوَات وَالْأَرْض، وأن الأب وحده الله والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الأب إذ لم يكن الابن.

ولم يكن بدعاً في القول بهذه الفكرة بين المسيحيين، بل إنها كانت معروفة مذكورة مشهورة من قبله، كما يقول المسيحيون أنفسهم حتى قال مؤرخوهم: "الذنب ليس على أريوس بل على فئات أخرى سبقته في إيجاد هذه البدع. فأخذ هو عنها. ولكن تأثير تلك الفئات لم يكن شديداً كما كان تأثير أريوس الذي جعل الكثيرين ينكرون سر الأُلوهية، حتى انتشر هذا التعليم وعم" (انظر:الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم،١/ ٤٧، محاضرات في النصرانية (تبحث في الأدوار التي مرَّت عليها عقائد النصاري وفي كتبهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم)، : محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، (ص١٢٣)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة: الثالثة ١٣٨١ هـ – ١٩٦٦ م).

وَكَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ ثَبَتَتْ مَعَهُ وَلَمْ تَتَنَحَّ عَنْهُ مَا خَلَا الْبَتَارِكَةَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ نِسَاءٌ، وَلَا كَانُوا يُصَيِّرُونَ أَحَدًا لَهُ زَوْجَةٌ بَتْرَكًا."(١)

ففي هذا المجمع تقرر القول بألوهية المسيح واشتراكه مع الرب -تعالى عن قولهم- في القدم، كما تمت الإشارة إلى روح القدس، وهو ما سيكتمل به الثالوث النصراني بعد ذلك في مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١م(٢) حيث تم تحديد هوية الثالوث النصراني بالآب والابن، والروح القدس، فقالوا بمقولة بطرك الاسكندرية: "ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، وليس روح الله شيئاً غير حياته. فإذا قلنا إن روح القدس مخلوق فقد قلنا إن حياته مخلوقة، وإذا قلنا إن حياته مخلوقة، فقد زعمنا أنه غير حي، وإذا زعمنا إنه غير حي فقد كفرنا به"(٣)

---

(١)هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد أحمد الحاج، (٢/ ٥٥٦)، الناشر: دار القلم- دار الشامية، جدة – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

(٢)مجمع القسطنطينية الأول: القسطنطينية: هي بيزنطة القديمة، أعاد الإمبراطور قسطنطين الكبير بناءها سنة ٣٢٤م، فصارت مقر الإمبراطورية، وقد سقطت أمام العثمانيين حينما دخلها محمد الفاتح سنة ١٤٥٣م، انعقد فيها المجمع الأول سنة ٣٨١م في عهد الإمبراطور (ثيؤدوسيوس) ورأسه في البداية (ملا تيوس) أسقف أنطاكية، وبعد موته أثناء جلسات المجمع، خلفه القديس (غريغوريوس اللاهوتي)، وشارك فيه ١٥٠ أسقفًا كلهم من الشرق، ولم يحضر أحد من أساقفة الغرب، والغاية منه دحض بدعة (مكدونيوس) بطريرك القسطنطينية الذي ادعى أن الروح القدس مخلوق بواسطة الابن. انظر: قوانين المجامع المسكونية، أثناسيوس (ص ٨٢-٩٢).

(٣)محاضرات في النصرانية (تبحث في الأدوار التي مرَّت عليها عقائد النصاري وفي كتبهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم)، : محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)/ (ص: ١٣٣)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة: الثالثة ١٣٨١ هـ - ١٩٦٦ م.

ثم تم بعد ذلك اعتماد القول: إن في المسيح طبيعتين - خلافاً لليعقوبية - في مجمع أفسس الثاني سنة ٤٤٩م، وحيث إن الذي دعا إلى هذا المجمع هو الملك (الإمبراطور) الروماني وتأييده لمذهب ازدواج الطبيعتين فقد أطلق عليه المذهب الملكي أو الملكاني.[١]

ثم في مجمع القسطنطينية الثالث سنة ٦٨٠م أضيف إلى هذا المذهب القول بأنّ المسيح له طبيعتان ومشيئتان خلافاً للمارونية القائلين بأنّ المسيح له طبيعتان ومشيئة واحدة.[٢]

وقد ربط البعض بين الآية وبين ما تم تقريره في مجمع القسطنطينية الأول، وكأن الآية عنده تشير إلى اكتمال اعتبار الثالوث النصراني رسميا في هذا المجمع، فقال: " نأتي بعد ذلك إلى الآية الكريمة رقم ٧٣ من سورة المائدة والتي تقول {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ} .

لقد حدث في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م، أن قال مقدونيوس إن الروح القدس ليس بإله بل إنه رسول من رسل الله. وقد شاع هذا بين المسيحيين في أنحاء الإمبراطورية الرومانية فلم يجدوا فيها بدعة ولا منكرًا. إلا أن الحاقدين أوعزوا إلى الملك أن يأمر بعقد مجمع، فعقد مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م، وقد حضره ١٥٠ أسقفا، علمًا بأن مجمع نيقية الذي عقد سنة ٣٢٥ م قد حضره ٢٠٤٨ أسقفًا. لقد كان عدد الحاضرين في مجمع القسطنطينية صغيرًا جدًا إذا قورن بمجمع نيقية. وقد كانت حصيلة هذا المجمع الصغير أن الروح القدس هو إله من جوهر الله. "[٣]

وعلى كل فالقول: إن الآلهة ثلاثة متميزون ومنفصلون: الأب -الابن- الروح القدس- هو ما اعتمدته الملكانية، وهو المذهب الذي يقال له الكاثوليكية، ولذلك قال الكاثوليك في شرح الآية

---

[١]هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم (٢/ ٥٦٦)

[٢]محاضرات في النصرانية (تبحث في الأدوار التي مرَّت عليها عقائد النصاري وفي كتبهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم)، : محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)/ ١٤٣.

[٣]مناظرة بين الإسلام والنصرانية، لمناقشة العقيدة الدينية بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية، الأستاذ إبراهيم خليل أحمد/ ٢٤٨، ٢٤٩، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.

الأولى من إنجيل يوحنا: "والكلمة كان عند الله: يعني: أن الكلمة متميز عمن ولده، فالآب غير الابن. والابن غير الآب ومع ذلك فهما شيء واحد في الطبيعة والذات والحكمة"[1]، وقد اعتبر جملة من العلماء الآية ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ معبرة عن هذا المذهب.

والآية تعبر عن حقيقة عقيدة النصارى المرادة من قولهم بالتثليث، مع العلم بأن النصارى المعاصرين للقرآن والذين جاءوا من بعد لم يصرحوا بالقول: إن الله ثالث ثلاثة، وهو ما دعا بعض العلماء إلى اعتبار الآية معبرة عن لازم المذهب لا نص مقولة أصحابه، فحاكمهم القرآن بلازم المذهب، قال القرطبي: " ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾. أَيْ أَحَدُ ثَلَاثَةٍ...وَهَذَا قَوْلُ فِرَقِ النَّصَارَى ... لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ أَبٌ وَابْنٌ وَرُوحُ الْقُدُسِ إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَلَا يَقُولُونَ ثَلَاثَةَ آلِهَةٍ، وَهُوَ مَعْنَى مَذْهَبِهِمْ، وَإِنَّمَا يَمْتَنِعُونَ مِنَ الْعِبَارَةِ وَهِيَ لَازِمَةٌ لَهُمْ. وَمَا كَانَ هكذا صح أن يُحْكَى بِالْعِبَارَةِ اللَّازِمَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الِابْنَ إِلَهٌ وَالْأَبَ إِلَهٌ وَرُوحَ الْقُدُسِ إِلَهٌ. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي هَذَا فِي (النِّسَاءِ) فَأَكْفَرَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِمْ هَذَا"[2].

وإن كان الماوردي يرى أنها نص مقولة قدمائهم، فقال: "وقال أوائل الملكانية أن الآلهة ثلاثة أحدهم عيسى، ثم عدل أواخرهم عن التصريح بهذا القول المستنكر حين استنكرته النفوس ودفعته العقول، فقالوا إن الله تعالى جوهر واحد هو ثلاثة أقانيم: أقنوم الآب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس".[3]

على حين يرى الطبري أن هذه الآية مقررة لما يقوله عامة النصارى من القول بالتثليث مع عدم تفصيل المراد بالثالوث، وكنه كل واحد من أفراد الثالوث، وهو ما أدى إلى تشعبهم، فيقول: "

---

(1)جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر "عرض ونقد"،(ص: ٣٤٠) رمضان مصطفى الدسوقي، رسالة دكتوراة – كلية أصول الدين بالمنصورة – جامعة الأزهر ٢٠٠٤م.

(2) تفسير القرطبي، ٦/ ٢٤٩، ٢٥٠.

(3)أعلام النبوة، : أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) / ٢٥، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأول – ١٤٠٩ هـ.

القول في تأويل قوله: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (المائدة: ٧٣) }

قال أبو جعفر: وهذا أيضًا خبر من الله تعالى ذكره عن فريق آخر من الإسرائيليين الذين وصف صفتهم في الآيات قبل: أنه لما ابتلاهم بعد حِسْبَانهم أنهم لا يُبتلون ولا يفتنون، قالوا كفرًا بربهم وشركًا:"الله ثالث ثلاثة".

وهذا قولٌ كان عليه جماهير النصارى قبل افتراق اليعقوبية والملكية والنَّسطورية. كانوا فيما بلغنا يقولون:"الإله القديم جوهر واحد يعم ثلاثة أقانيم: أبًا والدًا غير مولود، وابنًا مولودًا غير والد، وزوجًا متتبَّعة بينهما".(١)، وإن كان الطبري لا يمنع من أن هذه المقولة صارت علما على قول الملكانية.

وفي حين آخر يجعل الطبري التثليث المشار إليه في هذه الآية مقصودا به القول بألوهية الرب –عز وجل– وعيسى –عليه السلام– وأمه الصديقة –تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا–، فقال:" حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا) يقول: هدما.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، قال: قال ابن عباس (وتخر الجبال هدّا) قال: الهد: الانقضاض.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا) قال: غضبا لله. قال: ولقد دعا هؤلاء الذين جعلوا لله هذا الذي غضبت السماوات والأرض والجبال من قولهم، لقد استتابهم ودعاهم إلى التوبة، فقال: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ) قالوا: هو وصاحبته وابنه، جعلوهما إلهين معه (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ)"(٢)

وهذا القول على ما أشار البغوي هو قول المرقسية منهم؛ فهم الذين جعلوا الثالوث بين الرب وعيسى ومريم، فذكر في تفسيره:" لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ، يَعْنِي: الْمَرْقُوسِيَّةَ، وَفِيهِ

---

(١)جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري،١٠/ ٤٨١، ٤٨٢.

(٢)المصدر نفسه،١٨/ ٢٥٩.

إِضْمَارٌ مَعْنَاهُ: ثَالِثُ ثَلَاثَةِ آلِهَةٍ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: الْإِلَهِيَّةُ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَرْيَمَ وَعِيسَى، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ إِلَهٌ فَهُمْ ثَلَاثَةُ آلِهَةٍ، يُبَيِّنُ هَذَا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمَسِيحِ: أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ [الْمَائِدَةِ: ١١٦]"(١).

وهو ما أكده في تفسير قوله تعالى"يا أَهْلَ الْكِتابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلهٌ واحِدٌ سُبْحانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَكَفى بِاللَّهِ وَكِيلاً (النساء:١٧١)

يَا أَهْلَ الْكِتابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ، نَزَلَتْ فِي النَّصَارَى وهم أصناف أربعة: الْيَعْقُوبِيَّةُ وَالْمَلْكَانِيَّةُ والنُّسْطُورِيَّةُ وَالْمُرْقُوسِيَّةُ ، فَقَالَتِ الْيَعْقُوبِيَّةُ: عِيسَى هُوَ اللَّهُ، وَكَذَلِكَ الملكانية، وقالت النسطورية: عيسى ابن الله، وقالت المرقسية: ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، وَيُقَالُ الْمَلْكَانِيَّةُ يَقُولُونَ: عِيسَى هُوَ اللَّهُ، وَالْيَعْقُوبِيَّةُ يَقُولُونَ: ابْنُ اللَّهِ والنُّسْطُورِيَّةُ يَقُولُونَ: ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ عَلَّمَهُمْ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ يُقَالُ لَهُ بَوْلَسُ".(٢)

فللعلماء في تفسير هذه الآية احتمالان، أولهما: أن يكون المراد بالآية قول من قال بالأقانيم الثلاثة، الأب والابن والروح القدس، وقد جعلها الشهرستاني أليق بالملكانية.

والاحتمال الثاني: أن يكون المراد بالثالوث الأب والابن ومريم.

وقد ذكر الرازي الاحتمالين في تفسيره للآية، فقال: " فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ النَّصَارَى ثالِثُ ثَلاثَةٍ طَرِيقَانِ: الْأَوَّلُ: قَوْلُ بَعْضِ الْمُفَسِّرِينَ، وَهُوَ أَنَّهُمْ أَرَادُوا بِذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ وَمَرْيَمَ وَعِيسَى آلِهَةٌ ثَلَاثَةٌ، وَالَّذِي يُؤَكِّدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى لِلْمَسِيحِ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ [الْمَائِدَةِ: ١١٦] فَقَوْلُهُ

---

(١)معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي، ٢/ ٧١، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ

(٢) المصدر نفسه، ١/ ٧٢٤.

ثالِثُ ثَلاثَةٍ أَيْ أَحَدُ ثَلَاثَةِ آلِهَةٍ، أَوْ وَاحِدٌ مِنْ ثَلَاثَةِ آلِهَةٍ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ وَما مِنْ إِلهٍ إِلَّا إِلهٌ واحِدٌ وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ فَفِي الْآيَةِ إِضْمَارٌ، إِلَّا أَنَّهُ حُذِفَ ذِكْرُ الْآلِهَةِ لِأَنَّ ذَلِكَ مَعْلُومٌ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ، قَالَ الْوَاحِدِيُّ وَلَا يَكْفُرُ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ إِذَا لَمْ يُرِدْ بِهِ ثَالِثَ ثَلاثَةِ آلِهَةٍ، فَإِنَّهُ مَا مِنْ شَيْئَيْنِ إِلَّا واللَّهُ ثَالِثُهُمَا بِالْعِلْمِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ [الْمُجَادَلَةِ: ٧].

وَالطَّرِيقُ الثَّانِي: أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ حَكَوْا عَنِ النَّصَارَى أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: جَوْهَرٌ وَاحِدٌ، ثَلَاثَةُ أَقَانِيمَ أَبٌ، وَابْنٌ، وَرُوحُ الْقُدُسِ، وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ إِلَهٌ وَاحِدٌ، كَمَا أَنَّ الشَّمْسَ اسْمٌ يَتَنَاوَلُ الْقُرْصَ وَالشُّعَاعَ وَالْحَرَارَةَ، وَعَنَوْا بِالْأَبِ الذَّاتَ، وَبِالِابْنِ الْكَلِمَةَ، وَبِالرُّوحِ الْحَيَاةَ، وَأَثْبَتُوا الذَّاتَ وَالْكَلِمَةَ وَالْحَيَاةَ، وَقَالُوا: إِنَّ الْكَلِمَةَ الَّتِي هِيَ كَلَامُ اللَّهِ اخْتَلَطَتْ بِجَسَدِ عِيسَى اخْتِلَاطَ الْمَاءِ بِالْخَمْرِ، وَاخْتِلَاطَ الْمَاءِ بِاللَّبَنِ، وَزَعَمُوا أَنَّ الْأَبَ إِلَهٌ، وَالِابْنَ إِلَهٌ، وَالرُّوحَ إِلَهٌ، وَالْكُلَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا مَعْلُومُ الْبُطْلَانِ بِبَدِيهَةِ الْعَقْلِ، فَإِنَّ الثَّلَاثَةَ لَا تَكُونُ وَاحِدًا، وَالْوَاحِدَ، لَا يَكُونُ ثَلَاثَةً، وَلَا يُرَى فِي الدُّنْيَا مَقَالَةٌ أَشَدُّ فَسَادًا وَأَظْهَرُ بُطْلَانًا مِنْ مَقَالَةِ النَّصَارَى."(١).

وكذا فعل الألوسي، فقال في تفسيره: "وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ أي الآلهة ثلاثة: الله سبحانه، والمسيح، ومريم كما ينبئ عنه قوله تعالى: أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ [المائدة: ١١٦] إذ معناه «إلهين» غير الله تعالى فيكونون معه ثلاثة، وحكي هذا التقدير عن الزجاج.

أو الله سبحانه ثلاثة إن صح عنهم أنهم يقولون: الله تعالى جوهر واحد ثلاثة أقانيم، أقنوم الأب، وأقنوم الابن، وأقنوم روح القدس، وأنهم يريدون بالأول الذات أو الوجود، وبالثاني العلم أي الكلمة، وبالثالث الحياة كذا قيل.

---

(١)مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ١٢/٤٠٨، ٤٠٩، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

وتحقيق الكلام في هذا المقام على ما ذكره بعض المحققين أن النصارى اتفقوا على أن الله تعالى جوهر بمعنى قائم بنفسه غير متحيز. ولا مختص بجهة، ولا مقدر بقدر ولا يقبل الحوادث بذاته ولا يتصور عليه الحدوث والعدم، وأنه واحد بالجوهرية، ثلاثة بالأقنومية، والأقانيم صفات للجوهر القديم، وهي الوجود والعلم والحياة، وعبروا عن الوجود بالأب والحياة بروح القدس والعلم بالكلمة.
ثم اختلفوا فذهب الملكانية أصحاب ملكا الذي ظهر بالروم واستولى عليها إلى أن الأقانيم غير الجوهر القديم، وأن كل واحد منها إله، وصرحوا بإثبات التثليث، وقالوا: إن الله ثالث ثلاثة سبحانه وتعالى عما يشركون، وأن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته وامتزجت به امتزاج الماء بالخمر وانقلبت الكثرة وحدة وأن المسيح ناسوت كلي لا جزئي وهو قديم أزلي، وأن مريم ولدت إلها أزليا مع اختلافهم في مريم أنها إنسان كلي أو جزئي، واتفقوا على أن اتحاد اللاهوت بالمسيح دون مريم، وأن القتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت معا، وأطلقوا لفظ الأب على الله تعالى، والابن على عيسى عليه السلام"(١)
وقد جعل البيضاوي هذه الآية دالة على مذهب النسطورية أيضا، فقال: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ أي أحد ثلاثة، وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالأقانيم الثلاثة وما سبق(٢) قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد."(٣)
وعلى كل فالآية إن حملت على معنى إثبات الطبيعتين كانت أقرب إلى تصوير مذهب الملكانية، وإن كانت دالة على بطلان التثليث بعموم سواء على القول بالأقانيم الثلاثة، أو بالقول بألوهية مريم والمسيح مع الله-وهو ما مال إليه ابن كثير- كانت شاملة لأقوال عامة النصارى،فقال: "وَالصَّحِيحُ: أَنَّهَا أُنْزِلَتْ فِي النَّصَارَى خَاصَّةً، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ.
ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ فَقِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ كفارُهُمْ فِي قَوْلِهِمْ بِالْأَقَانِيمِ الثَّلَاثَةِ، وَهُوَ أُقْنُومُ الْأَبِ، وَأُقْنُومُ الِابْنِ، وَأُقْنُومُ الْكَلِمَةِ الْمُنْبَثِقَةِ مِنَ الْأَبِ إِلَى الِابْنِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ عُلُوًّا كَبِيرًا، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ: وَالطَّوَائِفُ

---

(١)روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، ٣/ ٢٠٠، ٢٠١.

(٢) يعني بما سبق قوله تعالى قبل: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ" (المائدة/ ٧٢)

(٣)أنوار التنزيل وأسرار التأويل، : ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي،٢/ ١٣٨، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

الثَّلَاثُ مِنَ الْمَلَكِيَّةِ وَالْيَعْقُوبِيَّةِ والنَّسطورية تَقُولُ بِهَذِهِ الْأَقَانِيمِ. وَهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِيهَا اخْتِلَافًا مُتَبَايِنًا لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُ بَسْطِهِ، وَكُلُّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ تُكَفِّرُ الْأُخْرَىٰ، وَالْحَقُّ أَنَّ الثَّلَاثَ كَافِرَةٌ. (١)

قلت: وليس ببعيد أن يكون من بلاغة لفظ القرآن الدلالة علىٰ فرق متعددة من فرق النصارىٰ ظهرت في أزمنة متباعدة بعبارة واحدة؛ فحكاية القرآن مقولة النصارىٰ (إن الله ثالث ثلاثة) –تعالىٰ الله عن قولهم– تصلح للدلالة علىٰ مقولة قدماء من كفر من النصارىٰ حيث صرحوا بألوهية عيسىٰ –عليه السلام–وأمه مع الله وهو ما أ شار إليه القرآن بقوله تعالىٰ: "أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ" [المائدة: من الآية١١٦]، وتكون الآية معبرة عن صريح قول هذه الطائفة.

كما تصلح الآية أن تكون دالة علىٰ مقولة من قال بالأقانيم زاعما القول بالتوحيد مع اعتقاده القول بالأقانيم، فتكون الآية دالة عليهم ومحاكمة لهم بلازم مذهبهم، علىٰ ما اعتبر جمهرة من العلماء الآية دالة علىٰ مقولة الملكانية إن قلنا إن الآية تتضمن معنىٰ إثبات الطبيعتين.

وإن لم نلحظ هذا الملحظ كانت الآية دالة علىٰ كل من قال بالتثليث من الملكانية بل واليعقوبية وغيرهم علىٰ ما يقول بعضهم: "علىٰ أنه ليس هناك تعارض أو تناقض بين القول بالوحدانية والقول بالتثليث. كان يمكن أن يكون هناك تناقض لو قلنا بثلاثة آلهة، لكنه ثالوث أقانيم في الإله الواحد، فالوحدانية من جهة وأما التثليث فمن جهة أخرىٰ. الله واحد لأن اللاهوت واحد والجوهر الإلهي واحد، والذات الإلهية واحدة. إنه تثليث أقانيم وليس تثليث ذوات أو جواهر".(٢)

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/ ١٥٨.

(٢) موسوعة الأنبا غريغوريوس (لاهوت السيد المسيح)، الأنبا غريغوريوس، جـ١ / ٥٥٥، الناشر: مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس، دير الأنبا رويس بالعباسية، ٢٠٠٤م.

المبحث الثالث:

الكلام على قوله تعالى: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم)

في هذه الآية يبين القرآن مقولة من مقولات فرق النصارى، وهؤلاء هم الذين قالوا إن الإله هو المسيح –تعالى ربي عن قولهم–، وقد جعل البعض من العلماء هذه الآية مصورة لمذهب من قال: إن المسيح ذو طبيعة واحدة ومشيئة واحدة، وهم اليعقوبية، يقول الشهرستاني: "أصحاب يعقوب: قالوا بالأقانيم الثلاثة كما ذكرنا، إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحما ودما، فصار الإله هو المسيح. وهو الظاهر بجسده، بل هو هو.

وعنهم أخبرنا القرآن الكريم: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ}".[1]

فالشهرستاني يرى أن هذه الآية تصوير لمذهب اليعقوبية من فرق النصارى، وبذا قال القرطبي: " قَوْلُهُ تَعَالَى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) هَذَا قَوْلُ الْيَعْقُوبِيَّةِ فرد الله عليهم ذَلِكَ بِحُجَّةٍ قَاطِعَةٍ مِمَّا يُقِرُّونَ بِهِ، فَقَالَ: (وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ) أَيْ إِذَا كَانَ الْمَسِيحُ يَقُولُ: يَا رَبِّ وَيَا اللَّهُ فَكَيْفَ يَدْعُو نَفْسَهُ أَمْ كَيْفَ يَسْأَلُهَا؟ هَذَا مُحَالٌ."[2]

وأصحاب هذا المذهب يزعمون أن مريم ولدت الله – تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً – وأنه صلب متجسداً وسُمِّر ومات ودفن ثم صعد إلى السماء.

وقد أخذ بهذا المذهب ثلاث كنائس من الكنائس التي سمت نفسها (الأرثوذكسية ORTODOXE) وهي كلمة يونانية معناها: (الرأي الصحيح المستقيم) . وقد استخدم القساوسة اليونانيون هذا الاصطلاح في القرن الرابع الميلادي – وهذه الكنائس الثلاث هي:

---

(١)الملل والنحل، الشهرستاني،٢/ ٣٠.

(٢)الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، القرطبي،٦/ ٢٤٩.

١- الكنيسة الأرثوذكسية في مصر والحبشة. ٢- الكنيسة الأرثوذكسية السريانية ويتبعها كثير من مسيحي آسيا. ٣- الكنيسة الأرثوذكسية والأرمنية موطنها أرمنيا. (من بلاد روسيا) .[١]

وقد ذهب الرازي في تفسير هذه الآية إلى أنها حكاية عما لا يقول به النصارى المعاصرون لنزول القرآن، بل وليس أحد من النصارى يقول بذلك، وربما تكون مقولة لفرقة بادت، ورأى أن ما يقول به النصارى أبعد في الشطط مما تصوره الآية؛ فالآية تصور قول من يقول إن الإله قد حل في عيسى فصار هو الإله، في حين أن النصارى لا يقولون بذلك وإنما يقولون بحلول الكلمة فقط، ثم إن الآية بعد ذلك تعبر عن لازم مقولة النصارى، يقول الرازي: "قوله تَعَالَى: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ.

فِي الْآيَةِ سُؤَالٌ، وَهُوَ أَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّصَارَى لَا يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، فَكَيْفَ حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ ذَلِكَ مَعَ أَنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ بِهِ.

وَجَوَابُهُ: أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْحُلُولِيَّةِ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ يَحِلُّ فِي بَدَنِ إِنْسَانٍ مُعَيَّنٍ، أَوْ فِي رُوحِهِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ قَوْمًا مِنَ النَّصَارَى ذَهَبُوا إِلَى هَذَا الْقَوْلِ، بَلْ هَذَا أَقْرَبُ مِمَّا يَذْهَبُ إِلَيْهِ النَّصَارَى، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ أُقْنُومَ الْكَلِمَةِ اتَّحَدَ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأُقْنُومُ الْكَلِمَةِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ ذَاتًا أَوْ صِفَةً، فَإِنْ كَانَ ذَاتًا فَذَاتُ اللَّهِ تَعَالَى قَدْ حَلَّتْ فِي عِيسَى وَاتَّحَدَتْ بِعِيسَى فَيَكُونُ عِيسَى هُوَ الْإِلَهُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ.

وَإِنْ قُلْنَا: إِنَّ الْأُقْنُومَ عِبَارَةٌ عَنِ الصِّفَةِ، فَانْتِقَالُ الصِّفَةِ مِنْ ذَاتٍ إِلَى ذَاتٍ أُخْرَى غَيْرُ مَعْقُولٍ، ثُمَّ بِتَقْدِيرِ انْتِقَالِ أُقْنُومِ الْعِلْمِ عَنْ ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى عِيسَى يَلْزَمُ خُلُوُّ ذَاتِ اللَّهِ عَنِ الْعِلْمِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا لَمْ يَكُنْ إِلَهًا، فَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْإِلَهُ هُوَ عِيسَى عَلَى قَوْلِهِمْ، فَثَبَتَ أَنَّ النَّصَارَى وَإِنْ كَانُوا لَا يُصَرِّحُونَ بِهَذَا الْقَوْلِ إِلَّا أَنَّ حَاصِلَ مَذْهَبِهِمْ لَيْسَ إِلَّا ذَلِكَ.

---

(١) انظر: الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية، القس: إبراهيم عبد السيد، (ص ٥)، الناشر: كنيسة مارجرجس بالمعادي-القاهرة، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية، سعد رستم (ص ٤٧، ٤٨)، ط٢، الأوائل للنشر والتوزيع-دمشق ٢٠٠٥م.

ثُمَّ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ احْتَجَّ عَلَى فَسَادِ هَذَا الْمَذْهَبِ بِقَوْلِهِ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ".(١)

وإذا كان الرازي جعل الآية بيانا لغير ما صرح به النصارى، فقريب منه توجيه البيضاوي والذي جعل الآية بيانا للازم مذهبهم لا لمنطوقه، فقال جوابا عن عين السؤال الذي طرحه الرازي: " (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) ، هم الذين قالوا بالاتحاد منهم، وقيل لم يصرح به أحد منهم ولكن لما زعموا أن فيه لاهوتاً وقالوا لا إله إلا الله واحد لزمهم أن يكون هو المسيح فنسب إليهم لازم قولهم توضيحاً لجهلهم وتفضيحاً لمعتقدهم.

(قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً) فمن يمنع من قدرته وإرادته شيئاً. (إِنْ أَرادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ) عيسى (ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً) احتج بذلك على فساد عقولهم، وتقريره: أن المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الألوهية. (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما يَخْلُقُ مَا يَشاءُ وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) إزاحة لما عرض لهم من الشبهة في أمره، والمعنى أنه سبحانه وتعالى قادر على الإطلاق يخلق من غير أصل كما خلق السموات والأرض، ومن أصل كخلق ما بينهما فينشئ من أصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات، ومن أصل يجانسه إما من ذكر وحده كما خلق حواء أو من أنثى وحدها كعيسى، أو منهما كسائر الناس."(٢)

وبناء على هذا التوجيه فالآية معبرة عن لازم قول النصارى أو عن فرقة من فرقهم بادت صرحت بذلك لأنه لا أحد من النصارى يصرح بذلك، على حد قول القائل: "الله الثالوث القدوس ليس هو المسيح؛ لأن تفسير ظهور الله في الجسد بمعنى أن الله الواحد في ثالوث مقدس مكون من الأب والابن والروح القدس هو الذي ظهر في الجسد فهذا تفسير خاطيء لا يقبله الفكر الكنسي ولم تعلم

---

(١)مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)،الرازي ، ١١/ ٣٢٧، ٣٢٨.

(٢)أنوار التنزيل وأسرار التأويل(تفسير البيضاوي)، البيضاوي ، ٢/ ١٢٠.

به الكنيسة منذ نشأتها، وعلى هذا فإن مقولة إن الله جل جلاله بمعنى الثالوث القدوس هو المسيح مقولة خاطئة لا تقبلها الديانة المسيحية"[1].

لكن الرازي عاد في الموطن الثاني لنص المقولة [2] من سورة المائدة فجعلها مقولة اليعقوبية كما فعل الشهرستاني: "قَوْلُهُ تَعَالَى: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ.

اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا اسْتَقْصَى الْكَلَامَ مَعَ اليهود شرع هاهنا فِي الْكَلَامِ مَعَ النَّصَارَى فَحَكَى عَنْ فَرِيقٍ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، وَهَذَا هُوَ قَوْلُ الْيَعْقُوبِيَّةِ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مَرْيَمَ وَلَدَتْ إِلَهًا، وَلَعَلَّ مَعْنَى هَذَا الْمَذْهَبِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَلَّ فِي ذَاتِ عِيسَى وَاتَّحَدَ بِذَاتِ عِيسَى، ثُمَّ حَكَى تَعَالَى عَنِ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَالَ. وَهَذَا تَنْبِيهٌ عَلَى مَا هُوَ الْحُجَّةُ الْقَاطِعَةُ عَلَى فَسَادِ قَوْلِ النَّصَارَى، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِي أَنَّ دَلَائِلَ الْحُدُوثِ ظَاهِرَةٌ عَلَيْهِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ وَمَعْنَاهُ ظَاهِرٌ.."[3]

فالرازي في تفسيره للآية الأولى جعل هذه المقولة لازم قول النصارى، إلا أنه لا مانع أن يكون ملزومها هو عين مذهب اليعقوبية.

---

(1) السيد المسيح في الفكرين الإسلامي والمسيحي، نبيل لوقا بباوي/ ١١٢، ط: دار السعادة، القاهرة،٢٠٠٧م، ط: أولى.

(2) الآية الأولى كانت تفسيرا لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧]، والثانية تفسير لقوله تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

(3) التفسير الكبير، الرازي، ١٢/ ٤٠٨.

وهكذا نرى أن الآية إن فسرت دالة على الإشارة إلى قول من قال بالطبيعة الواحدة كانت دالة على مقولة اليعقوبية، وإن أخذت على ظاهر لفظها كانت دالة على فرقة بائدة من فرق النصارى قائلة بحلول الإله في المسيح، وعلى الاحتمال الأول تكون الآية معبرة عن لازم المذهب.

المبحث الرابع:

الكلام على قول النصارى: المسيح ابن الله.

يقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾(التوبة: من الآية ٣٠) في هذه الآية يصور الرب عز وجل مقولة استفاضت عن النصارى، وهي زعمهم أن المسيح –عليه السلام- ابن الله، وهي مقولة تواطأ عليها كفار النصارى كذبا على الله عز وجل، وقال بها جل طوائف النصارى؛ لذلك رأينا القرآن يثبتها للنصارى لا إلى طائفة منهم، لأنها شعار جمهورهم، وإن تعددت تفسيرات طوائفهم لها.

وقد يزعم البعض أن تواطؤ النصارى في زمن أو أزمنة على هذه المقولة يجعلها من جنس أخبار التواتر المفيدة للعلم واليقين، وهو غير صحيح؛ إذ ليس كل تواطؤ في طبقة أو طبقات يفيد التواتر واليقين.

لكن قد لحظ البعض إشكالية تواطؤ النصارى على هذه المقولة وكثرة القائلين بها، فجعل ذلك مسألة وإشكالا يحتاج إلى جواب، فقال: "وَأَمَّا حِكَايَةُ اللَّهِ عَنِ النَّصَارَىٰ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، فَهِيَ ظَاهِرَةٌ، لَكِنْ فِيهَا إِشْكَالٌ قَوِيٌّ، وَهِيَ أَنَّا نَقْطَعُ أَنَّ الْمَسِيحَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَصْحَابُهُ كَانُوا مُبَرَّئِينَ مِنْ دَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى الْأُبُوَّةِ وَالْبُنُوَّةِ، فَإِنَّ هَذَا أَفْحَشُ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ، فَكَيْفَ يَلِيقُ بِأَكَابِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؟

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَكَيْفَ يُعْقَلُ إِطْبَاقُ جُمْلَةِ مُحِبِّي عِيسَىٰ مِنَ النَّصَارَىٰ عَلَى هَذَا الْكُفْرِ، وَمَنِ الَّذِي وَضَعَ هَذَا الْمَذْهَبَ الْفَاسِدَ، وَكَيْفَ قَدِرَ عَلَى نِسْبَتِهِ إِلَى الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟"[١].

وأجاب الرازي بجوابين: الأول أن الذي أسس للنصارى هذه الشناعة هو بولس –ولم يرتض هذا الجواب-، والثاني: قال فيه: "وَالْأَقْرَبُ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ لَعَلَّهُ وَرَدَ لَفْظُ الِابْنِ فِي الْإِنْجِيلِ عَلَى سَبِيلِ التَّشْرِيفِ، كَمَا وَرَدَ لَفْظُ الْخَلِيلِ فِي حَقِّ إِبْرَاهِيمَ عَلَى سَبِيلِ التَّشْرِيفِ، ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ لِأَجْلِ عَدَاوَةِ الْيَهُودِ وَلِأَجْلِ أَنْ يُقَابِلُوا غُلُوَّهُمُ الْفَاسِدَ فِي أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ بِغُلُوٍّ فَاسِدٍ فِي الطَّرَفِ الثَّانِي، فَبَالَغُوا

---

(١) تفسير الرازي، ١٦/ ٢٨.

وَفَسَّرُوا لَفْظَ الِابْنِ بِالْبُنُوَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ وَالْجُهَّالُ قَبِلُوا ذَلِكَ، وَفَشَا هَذَا الْمَذْهَبُ الْفَاسِدُ فِي أَتْبَاعِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ."[1]

وإلى هذا القول مال صاحب تفسير المنار، قال: "وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ هَذَا الْقَوْلُ كَانَ يَقُولُهُ الْقُدَمَاءُ مِنْهُمْ، وَيَقْصِدُونَ بِهِ مَعْنًى مَجَازِيًّا كَالْمَحْبُوبِ وَالْمُكَرَّمِ، ثُمَّ سَرَتْ إِلَيْهِمْ فَلْسَفَةُ الْهُنُودِ فِي (كِرِشْنَا) وَغَيْرِهِمْ مِنْ قُدَمَاءِ الْوَثَنِيِّينَ، ثُمَّ اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ فِرَقُهُمُ الْمَعْرُوفَةُ فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ، وَعَلَى أَنَّهُ حَقِيقَةٌ لَا مَجَازٌ، وَعَلَى أَنَّ (ابْنَ اللهِ) بِمَعْنَى (اللهِ) وَبِمَعْنَى (رُوحِ الْقُدُسِ) ; لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ عِنْدَهُمْ وَاحِدٌ حَقِيقَةً لَا مَجَازًا، هَذَا تَعْلِيمُ الْكَنَائِسِ الَّذِي قَرَّبَتْهُ الْمَجَامِعُ الرَّسْمِيَّةُ، بِتَأْثِيرِ الْفَلْسَفَةِ الرُّومِيَّةِ، وَلَكِنْ بَعْدَ الْمَسِيحِ وَتَلَامِيذِهِ بِثَلَاثَةِ قُرُونٍ، وَيُخَالِفُهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ أَعْظَمُهُمْ شَأْنًا الْمُوَحِّدُونَ وَالْعَقْلِيُّونَ. وَالْكَنَائِسُ الْكَاثُولِيكِيَّةُ وَالْأَرْثُوذُكْسِيَّةُ وَالْبُرُوتِسْتَانْتِيَّةُ لَا تَعْتَدُّ بِنَصْرَانِيَّتِهِمْ وَلَا بِدِينِهِمْ."[2]

وإلى الرأي نفسه مال صاحب (روح المعاني)، فقال: " وَقالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ هو أيضا قول بعضهم، ولعلهم إنما قالوه لاستحالة أن يكون ولد من غير أب أو لأنهم رأوا من أفعاله ما رأوا.

ويحتمل- وهو الظاهر عندي- أنهم وجدوا إطلاق الابن عليه عليه السلام وكذا إطلاق الأب على الله تعالى فيما عندهم من الإنجيل فقالوا ما قالوا وأخطأوا في فهم المراد من ذلك."[3]

قلت: وهذا الذي استظهروه من كون سبب ظهور هذه المقولة أنهم وجدوها في كتابهم غير ظاهر عندي؛ لأن القرآن قد بين أن المقولة مضاهاة لقول الكافرين السابقين لهم، إلا أن يكون المراد أنهم وجدوا المقولة في كتابهم بسبب ما أصابه من التحريف لا أنها كانت في أصله الصحيح الذي نزل على عيسى.

---

[1] المصدر نفسه، ١٦/ ٢٩.

[2] تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ١٠/ ٢٨٨، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م..

[3] روح المعاني، الألوسي، ٥/ ٢٧٤.

وقد ذهب البعض إلى أن هذه المقولة لم تكن من كلام النصارى المعاصرين للنبي -صلى الله عليه وسلم- وإنما هي مقولة للقدماء منهم، وجعل ذلك من علامات صدقه -صلى الله عليه وسلم، فقال الماتريدي: "(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ): فذكر الآية، وأخبر - واللَّهُ أعلم - أنهم قالوا في اللَّه ما قالوا لوجوه:

أحدها: دلالة إثبات رسالة مُحَمَّد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ -؛ لأن هَؤُلَاءِ المتأخرين لم يقولوا هذا، ولكن إنما قال ذلك أوائلهم، لكن كتموا ذلك، فأخبر رسول اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - أن أوائلهم قالوا ذلك، وهم كانوا يكتمون عن رسول اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - ذلك؛ ليعلموا أنه إنما علم ذلك باللَّه.

والثاني: يخبر رسوله سفه أوائلهم، ويصبره على سفه هَؤُلَاءِ؛ ليصبر على سفههم وأذاهم."(١)

وقد لحظ العلماء الشبهة التي روج بها ضُلال مذهبهم لهذه المقولة على عوامهم، فقال البيضاوي: "وَقالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ هو أيضاً قول بعضهم، وإنما قالوه استحالة لأن يكون ولد بلا أب أو لأن يفعل ما فعله من إبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى من لم يكن إلهاً".(٢)

وهي عين الشبهة التي استقبل بها وفد نصارى نجران رسول الله -صلى الله عليه وسلم- " قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا لَكَ تَشْتُمُ صَاحِبَنَا، قَالَ: «وَمَا أَقُولُ؟» قَالُوا: تَقُولُ إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: «أَجَلْ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ» ، فَغَضِبُوا وَقَالُوا: هَلْ رَأَيْتَ إِنْسَانًا قَطُّ مِنْ غَيْرِ أَب؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ:إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ، فِي كَوْنِهِ خَلَقَهُ مِنْ غَيْرِ أَبٍ كَمَثَلِ آدَمَ لِأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ غَيْرِ أَبٍ وَأُمٍّ".(٣)

---

(١)تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، : محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، ٥/ ٣٥٧، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

(٢) تفسير البيبضاوي، ٣/ ٧٨.

(٣)تفسير البغوي - (١/ ٤٤٩)

وهكذا نرى أن الآية دالة على عقيدة عامة النصارى في عصر النبي –صلى الله عليه وسلم– ومن بعده من النصارى، دالة على كفرهم رادة لشبهتهم في اتخاذهم هذه الشناعة.

كما يجعلها البعض دالة على مقولة القدماء من النصارى ومن تلاهم، أما القدماء منهم فإنهم زعموه ابنا من باب التشريف والتكريم كما سمى الله إبراهيم خليلا، والمعنى الذي قصدوه صحيح ويبقى الإشكال في إطلاق اللفظ؛ إذ لابد فيه من إذن الشرع، ولله در الإيجي وشارح مواقفه حيث قالا عن النصارى: "(وضبط مذهبهم: أنهم إما أن يقولوا باتحاد ذات الله بالمسيح، أو حلول ذاته فيه أو حلول صفته فيه كل ذلك إما ببدنه) أي بدن عيسى (أو بنفسه)فهذه ستة .

(وإما أن لا يقولوا بشيء من ذلك، وحينئذ: فإما أن يقولوا أعطاه الله قدرة على الخلق) والإيجاد (،أو لا ولكن خصه الله تعالى بالمعجزات وسماه ابنا تشريفا) وإكراما (كما سمى إبراهيم خليلا.

فهذه ثمانية احتمالات كلها باطلة إلا الأخير)"[1] "فهو ما عليه أهل الحق، إلا أنه لم يرد في شرعنا إطلاق الأب على الله تعالى، ولا الابن على المسيح –عليه السلام–"[2].

و هذا النص يبطل الاحتمالات السبعة الأول ويجيز معنى الاحتمال الأخير لا لفظه، ومع أن العبرة عندنا بالمعاني لا بالألفاظ إلا أن الألفاظ معتبرة في هذا الموطن على ما صرح شارح المواقف؛ لأن الأسماء المتعلقة بالله تعالى لابد فيها من الإذن.

قلت: ولعله ورد في شرعنا ما يدل على حرمة هذه التسمية على من سبقنا حيث بينت الآية أن القول ببنوة العزير أو المسيح لله محاكاة لأقوال الكافرين السابقين لليهود والنصارى، {يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}، فهذه المقولة مجرد محاكاة لأقوال السابقين سواء بحسن قصد أو بخبيثه، وإن كان الأرجح أن المقولة إنما قصد بإنشائها إفساد عقائد النصارى، ولا يخفى اعتراف الكثير بهذه المضاهاة من النصارى "يقول البروفسور (ىRBultman) عندما نبحث عن أصل لقب (ابن الله) نجده لا

---

(١)المواقف في علم الكلام، عضد الدين الإيجي، مع شرحه للشريف الجرجاني، ج٨/ ٣٤، وبهامشه حاشيتا السيالكوتي والجلبي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: أولى، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م.

(٢) حاشية السيالكوتي على شرح المواقف، المرجع نفسه، الصحيفة نفسها.

يتعلق بالمسيح، ولا حتىٰ بالكنيسة الفلسطينية الأصلية، لكن فقط يتعلق بالمسيحية الهيلينية التي أخذت هذا المفهوم من المجتمع الهيليني.

أما البروفسور (Oscar Ollman) فيستعرض مفهوم (ابن الله) في الشرق في المجتمعات الهيلينية، ثم يقول إن أصل مفهوم (ابن الله) يكمن في الأديان الشرقية القديمة حيث كان الملوك يعتبرون أبناء الله، ويقول إن هذا الاعتقاد كان معروفا في مصر حيث إن الحكام الفراعنة كانوا يعتبرون أبناء إله الشمس." (١)

وعليه فتكون الآية موضع هذا المبحث في دلالتها علىٰ بعض قدماء النصارىٰ -مع إضمارهم معنىٰ صحيحا في تسميتهم عيسىٰ -عليه السلام- ابنا- مخطئة لهم في لفظهم المحاكي لفظ الكافرين المتقدمين. وفي دلالتها علىٰ جمهور الخلف من النصارىٰ والسلف المعتقدين معنىٰ البنوة الحقيقة كما هو عند المتقدمين من الكافرين حاكمة بكفرهم هم أيضا، فانظر كيف جمعت الآية مقولة عامة المنتسبين إلىٰ النصارىٰ مع تعدد مقاصدهم واختلاف تفسيراتهم في عبارة واحدة تضمهم كلهم مع بيان فساد المقولة ومنشأها.

---

(١) دراسات في الملل والنحل (أقول المسيحية الهلينية) حررها وترجم بعضها: د.محمد عبد الله الشرقاوي/ ٩٢، ٩٣، مطبعة المدينة، القاهرة، ط: أولىٰ، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣م، وانظر: تأملات في الأناجيل والعقيدة، د. بهاء النحال/ ١٤١ وما بعدها، ط: دار الاتحاد الأخوي، القاهرة، بدون.

المبحث الخامس: القائلون بألوهية مريم، والرهبان

أولا القول بألوهية مريم:

لقد اهتم القرآن الكريم ببيان براءة المسيح وأمه مما نسبه إليهما اليهود والنصارى؛ "فنزه الله الْمَسِيح وَأمه على لِسَان نبيه مِمَّا قالته الْيَهُود فيهمَا من الْأَقْوَال الوخيمة ونسبوه لَهما من الهجاء والشتيمة، وكما شهد بِبَرَاءَة الْمَسِيح وَأمه مِمَّا نسبته الْيَهُود إِلَيْهِمَا كَذَلِك شهد ببراءتهما مِمَّا نسبتموهما أَنْتُم -النصارى- إِلَيْهِ وتقولتموه عَلَيْهِمَا؛ وَذَلِكَ أَن مِنْكُم طَائِفَة يَقُولُونَ إِن مَرْيَم إِلَه وَقد أطبقتم على أَن الْمَسِيح إِلَه وإبن الْإِلَه وَنَبِينَا عَلَيْهِ السَّلَام يَقُول مخبرا عَن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى {مَا الْمَسِيح ابْن مَرْيَم إِلَّا رَسُول قد خلت من قبله الرُّسُل وَأمه صديقَة}"(١).

وقد صور القرآن كيف أن فرقا من المنتسبين إلى المسيح -عليه السلام- زعمت أن أم المسيح إله؛ فقال تعالى: «أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ»، وقد رأينا القول بألوهية مريم ماثلا في الثالوث الذي فسره البعض فجعل مريم أحد أضلاعه، ومن ينظر إلى بعض الأناجيل الموسومة بالمنحولة يراها قد اهتمت اهتماما كبيرا بمريم، "فإن بدء إنجيل يعقوب(٢) تضمن

---

(١)الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، المحقق: د. أحمد حجازي السقا، ص: ٢٥٤، الناشر: دار التراث العربي – القاهرة.

(٢)إنجيل يعقوب الأولي أو إنجيل يعقوب التمهيدي، ألّف في منتصف القرن الثاني، وهو ينتمي إلي مجموعة الأناجيل الأبوكريفا، وهي الأناجيل التي رفضتها الكنيسة واعتبرتها منحولة، ويذكر العلماء أن سبب وصفه بالأول أو التمهيدي يرجع إلى ذكر هذا الإنجيل للأحداث الأولية عن المسيح، منذ حمل مريم العذراء، فهو بذلك يمهد لقصة المسيح، وفي نفس الوقت يحاول كاتب هذا الإنجيل سد الفراغ في الأناجيل المعترف بها وذلك بذكر أحداث مهمة في حياة يسوع وأمه، تلك التي لم تذكر في الأناجيل القانونية. (انظر: أبو كريفا العهد الجديد كيف كتبت؟ ولماذا رفضتها الكنيسة؟ الجزء الأول الكتاب المسماة بأناجيل الطفولة والآلام ، حيث ذكر فيه نص إنجيل يعقوب، ط: مكتبة المحبة، ٢٠٠٧م)

العديد من التفاصيل حول طفولة يسوع، وكان في أساس انطلاقة اللاهوت المتعلق بالعذراء مريم والعبادة المريمية"(١).

وقد كان من فرق النصارىٰ في القديم من يقول بذلك، يقول ابن حزم: "مِنْهُم البربرانية وهم يَقُولُونَ إن عِيسَىٰ وَأمه إلهان من دون الله عز وَجل وَهَذِه الْفرْقَة قد بادت "(٢).

وإذا كانت هذه الفرقة قد بادت فإن الكاثوليك الامتداد الحديث والمعاصر لفرقة الملكانية القديمة تقدس مريم؛ فيعتبرونها " إلهاً مستحقاً للعبادة، وإن لم يعتبروها أحد أطراف الثالوث الأقدس، ويعتمدون في تقديسها علىٰ ما جاء في النص الكاثوليكي لإنجيل لوقا، وفيه: "فلما دخل إليها الملاك قال: السلام عليك يا ممتلئة نعمة، الرب معك، مباركة أنت في النساء" (لوقا ١/ ٢٨).

وقد تمثلت عبادة الكاثوليك لمريم في عدد من الصلوات التي تؤدىٰ لها، ومنها "صلاة مريم" وفيها يقولون: "يا خطيبة مختارة من الله، يا أيتها المستحقة الاحترام من الجميع ... يا باب السماء ... يا ملكة السماء التي جميع الملائكة يسجدون لها، وكل شيء يسبحها ويكرمها ... فاستمعينا يا أم الله، يا ابنة، يا خطيبة الله، يا سيدتنا ارحمينا وأعطينا السلام الدائم ... لك نسجد ولك نرتل".

ويقول القس توما اللاهوتي: "أما العذراء الطاهرة المجيدة، وهي الممتلئة من الاستحقاقات فلها أن تخلص جميع البشر".

ويقول (القديس) لويس ماريدي: " التكريم أن نهب ذواتنا بكليتها إليها، كأسرىٰ لمريم وليسوع بواسطتها علىٰ أن تقوم جميع أعمالنا مع مريم، وبواسطة مريم، وفي مريم، ولأجل مريم".

وينقل الأب يعقوب ملطي في تفسيره عن الأب ثيودسيوس أسقف أنقرة قوله عن مريم: "التحفت بالنعمة الإلهية كثوب، امتلأت نفسها بالحكمة الإلهية، في القلب تنعمت بالزيجة مع الله،

---

(١) بحث: الخلفية الحضارية في إطار حضارات المتوسط، بيار كانيفيه، ضمن كتاب (المسيحية عبر تاريخها في المشرق)/ ٤٢، مجلس كنائس الشرق الأوسط، بيروت، لبنان.

(٢)الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٤٧)

وتسلمت الله في أحشائها"، فهي – حسب رأيه – زوجة الله بقلبها، وتحمل الله في أحشائها، كما امتلأت بحكمة الله والتحفت بنعمه.

وفي مجمع أفسس ٤٣١م سميت مريم " والدة الإله"، وزيد في أمانة نيقية فقرة تخصها، فيها "نعظمك يا أم النور الحقيقي، ونمجدك أيتها العذراء القديسة، والدة الإله".(١)

وقد أجاب القاضي عبد الجبار على من زعم من النصارى إنكار تأليههم لمريم يريدون بذلك تكذيب القرآن، فقال: "قد قال صاحبكم في كتابكم: «أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ» فقالت النصارى: فهذا كذب، فانا وإن قلنا فيه انه إله فما قلنا في امه انها إله.

قيل له: ... ففي النصارى من قد قال بمعنى هذا وان لم يصرح بلفظه، لأنهم قالوا إن مريم صفت حين قبلت الجوهر الإلهي وولدته، وكل جوهر لا يقبل إلا ما في جوهره وسنخه –أصله– ولا يلد إلا ما في جوهره ...

وعلى ان هذه الطوائف الثلاث منهم من يقول في مريم انها ام المسيح ابن الله في الحقيقة ووالدته في الحقيقة، لا ام لابن الله إلا هي، ولا والدة لابن الله غيرها، ولا أب لابنها إلا الله، ولا والد لابنها إلا الله، وان الله اختارها لنفسه ولولادة ولده وابنه من سائر النساء، ولو كانت كسائر النساء لما ولدت إلا عن وطء الرجال لها، وانما اختصت بهذا لأنها حبلت بابن الله وولدت ابن الله الذي لا ابن له في الحقيقة إلا هو ولا ولد له إلا هو، وأنها على العرش جالسة عن يسار الرب والد ابنها، وابنها عن يمينه. وهم يدعونها ويسألونها سعة الرزق وصحة البدن وطول العمر وغفران الذنوب، وان تكون لهم عند ابنها ووالد ابنها سورا وسندا وذخرا وشفيعا وركنا. "(٢)

(١) الله جَلَّ جلالَهُ واحد أم ثلاثة؟، : د. منقذ بن محمود السقار/ ٢١٧، ٢١٨، الناشر: دار الإسلام للنشر والتوزيع،الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

(٢) تثبيت دلائل النبوة، : القاضى عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، أبو الحسين المعتزلي (المتوفى: ٤١٥هـ)، (١/ ١٤٥، ١٤٦)، الناشر: دار المصطفى – شبرا– القاهرة.

ثانيا: القائلون بألوهية الرهبان:

صرح القرآن الكريم بتقديس النصارىٰ لرجال دينهم حتىٰ أن القرآن الكريم دعىٰ هذا التقديس اتخاذهم أربابا من دون الله؛ ففي سورة التوبة يقول تعالىٰ: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} [التوبة: ٣١]، وفي الحديث عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ. فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الوَثَنَ»، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} [التوبة: ٣١]، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ»(١)

وهذا ما قالت به الملكانية من عصمة القساوسة واعتبار ما ينطقون به مقدسا من عند الله، علىٰ ما جاء من قول المسيح –عليه السلام– لبطرس –في زعمهم– (وأُعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه علىٰ الأرض يكون مربوطًا في السماوات، وكل ما تحله علىٰ الأرض يكون محلولًا في السماوات).(٢) ، وعليه انفردت الكنيسة الكاثوليكية –وريثة الملكانية– بسر ثامن عن الكنائس الأخرىٰ ألا وهو عصمة البابا عن ارتكاب المعاصي والآثام، وقالوا: إنه وريث سلطان بطرس الذي دفعه له المسيح، لذلك تسمىٰ بالكنائس البطرسية. (٣)

يقول القلقشندي: "والملكانية يدينون بطاعة البابا: وهو بطرك رومية المقدّم ذكره، قال في «الروض المعطار»: من قاعدة البابا أنه إذا اجتمع به ملك من ملوك النّصارىٰ ينبطح علىٰ بطنه بين يديه، ولا يزال يقبّل رجليه حتّىٰ يكون هو الذي يأمره بالقيام"(٤)

---

(١)أخرجه: الترمذي، ك: أبواب تفسير القرآن، ب: ومن سورة التوبة، (ح٣٠٠٩)،

(٢) (متىٰ: ١٦ : ١٩)، بل إن الدائرة اتسعت لتشمل الاثنىٰ عشر حواريًا، فيذكر متىٰ أن المسيح عليه السلام . خوَّلهم هذا الحق قائلاً: {الحق أقول لكم: كل ما تربطونه علىٰ الأرض يكون مربوطًا في السماء، وكل ما تحلونه علىٰ الأرض يكون محلولاً في السماء} [متىٰ ١٨ : ١٨ .]

(٣)انظر: الله جَلَّ جلالَهُ واحد أم ثلاثة، د. منقذ بن محمود السقار/ ١٨، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع الجهني، جـ٢/ ٦٠٧، ط: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ.

(٤)صبح الأعشىٰ في صناعة الإنشاء، : أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، (١٣/ ٢٨٠)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت .

المبحث السادس: الفرقة المؤمنة:

لم تخل دعوة المسيح –عليه السلام– من أتباع مخلصين آمنوا به، ونصروه –عليه السلام–، وأقاموا عليها بعد رفعه، كذلك الحال مع الأنبياء –عليهم السلام– على ما دل عليه الخبر، فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ».[1]

وقد أعلى رب العالمين شأن المقدمين من هذه الطائفة المؤمنة، ودعا للاقتداء بهم، قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ"[الصف: ١٤].

فالآية تدلك على وجود فرقة كانت على الحق، وعلى صحيح دعوة عيسى –عليه السلام–، فتستطيع أن تقول أنه قد "نشأ الجيل الأول بعد المسيح مؤمناً بتوحيد الله وعبودية المسيح، وأنه كان نبياً رسولاً...كما نستطيع القول بأن الجيل الأول من تاريخ النصرانية كان موحداً بشهادة التاريخ حيث يقول بطرس قرماج في كتابه " مروج الأخبار في تراجم الأبرار " عن بطرس ومرقس: "كانا ينكران ألوهية المسيح"، فهذا معتقد تلاميذ المسيح المقربين"[2]، وقد ظلت هذه الطائفة حاضرة بين الناس على تناقص في عددها مع تتابع الزمان إلى وقت ظهور النبي –صلى الله عليه وسلم– حتى صاروا ندرة عند مبعثه –صلى الله عليه وسلم– على ما دل عليه الخبر: "وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى

---

[1] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ (ح٨٠).

[2] الله جَلَّ جلالُهُ واحد أم ثلاثة؟، : د. منقذ بن محمود السقار، ١٨١.

أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ "(١)

"وتقول دائرة المعارف الأمريكية: "لقد بدأت عقيدة التوحيد كحركة لاهوتية بداية مبكرة جداً في التاريخ أو في حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين"، وذلك لأنها بدأت مع بدء النبوات، واستنارت وتلألأت ببعثة عيسى عليه السلام وتعاليمه الموحدة لله.

وتقول دائرة معارف لاروس الفرنسية: "عقيدة التثليث وإن لم تكن موجودة في كتب العهد الجديد ولا في عمل الآباء الرسوليين ولا عند تلاميذهم المقربين إلا أن الكنيسة الكاثوليكية والمذهب البروتستنتي يدعيان أن عقيدة التثليث كانت مقبولة عند المسيحيين في كل زمان ...

إن عقيدة إنسانية عيسى كانت غالبة طيلة مدة تكون الكنيسة الأولى من اليهود المتنصرين، فإن الناصريين سكان مدينة الناصرة وجميع الفرق النصرانية التي تكونت عن اليهودية اعتقدت بأن عيسى إنسان بحت مؤيد بالروح القدس، وما كان أحد يتهمهم إذ ذاك بأنهم مبتدعون وملحدون، فكان في القرن الثاني مبتدعون وملحدون، فكان في القرن الثاني مؤمنون يعتقدون أن عيسى هو المسيح، ويعتبرونه إنساناً بحتاً ..

وحدث بعد ذلك أنه كلما نما عدد من تنصر من الوثنيين ظهرت عقائد لم تكن موجودة من قبل".

ويقول عوض سمعان مؤكداً براءة أصحاب المسيح من الشرك والوثنية زمن المسيح: " إذا رجعنا إلى تاريخ علاقة الرسل بالمسيح، وجدنا أنهم لم يجرؤوا في أول الأمر على الاعتراف بأنه هو الله ... لأنهم كيهود كانوا يستبعدون أن يظهر الله في هيئة إنسان. نعم كانوا ينتظرون المسيّا، لكن المسيا بالنسبة إلى أفكارهم التي توارثوها عن أجدادهم لم يكن سوى رسول ممتاز يأتي من عند الله، وليس هو بذات الله" .

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا ، بَابُ الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ (ح ٢٨٦٥).

وتؤكد دائرة المعارف الأمريكية بأن الطريق بين مجمع أروشليم الأول الذي عقده تلاميذ المسيح ومجمع نيقية لم يكن مستقيماً، ويتحدث الكاردينال دانيلو عن انتشار التوحيد حتىٰ في المواطن التي بشر بولس بها كأنطاكية وغلاطية حيث واجهته مقاومة عاتية.

وكشف مؤخراً عن وثيقة مسيحية قديمة نشرت في جريدة "التايمز" في ١٥ يوليو ١٩٦٦م وتقول: إن مؤرخي الكنيسة يسلمون أن أكثر أتباع المسيح في السنوات التالية لوفاته اعتبروه مجرد نبي آخر لبني إسرائيل.

ويقول برتراند رسل الفيلسوف الإنجليزي: "تسألني لماذا برتراند رسل لست مسيحياً؟ وأقول رداً علىٰ سؤالك: لأنني أعتقد أن أول وآخر مسيحي قد مات منذ تسعة عشر قرناً، وقد ماتت بموته المسيحية الحقة التي بشر بها هذا النبي العظيم".(١)

فكان الجيل الأول من أتباع عيسىٰ هم جيل التوحيد الذي كان ثلة من الأولين وقليلا من الآخرين، فكان "مِنْهُم أَصْحَاب أريوس، وَكَانَ قسيساً بالإسكندرية وَمن قَوْله التَّوْحِيد الْمُجَرّد وَأَن عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَام عبد مَخْلُوق وَأَنه كلمة الله تَعَالَىٰ الَّتِي بهَا خلق السَّمَوَات وَالْأَرْض، وَكَانَ فِي زمن قسطنطين الأول باني الْقُسْطَنْطِينِيَّة وَأول من تنصر من مُلُوك الرّوم...

وَمِنْهُم أَصْحَاب بولس الشمشاطي، وَكَانَ بطريركيا بأنطاكية قبل ظُهُور النَّصْرَانِيَّة، وَكَانَ قَوْله التَّوْحِيد الْمُجَرّد الصَّحِيح وَأَن عِيسَىٰ عبد الله وَرَسُوله كَأحد الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِم السَّلَام خلقه الله تَعَالَىٰ فِي بطن مَرْيَم من غير ذكر، وَأَنه إِنْسَان لَا إلهية فِيهِ وَكَانَ يَقُول لَا أَدْرِي مَا الْكَلِمَة وَلَا روح الْقُدس.

وَكَانَ مِنْهُم مقدونيوس، وَكَانَ بطريركاً فِي الْقُسْطَنْطِينِيَّة بعد ظُهُور النَّصْرَانِيَّة أَيَّام قسطنطين بن قسطنطين باني الْقُسْطَنْطِينِيَّة وَكَانَ هَذَا الْملك أريوسياً كأبيه، وَكَانَ من قَول مقدونيوس هَذَا التَّوْحِيد الْمُجَرّد وَأَن عِيسَىٰ عبد مَخْلُوق إِنْسَان نَبِي رَسُول الله كَسَائِر الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِم السَّلَام وَأَن عِيسَىٰ هُوَ روح الْقُدس وَكلمَة الله عز وَجل وَأَن روح الْقُدس والكلمة مخلوقان خلق الله كل ذَلِك"(٢).

وقد "استمر الموحدون يواجهون أتباع بولس، وظهر ما تسميه الكنسية في تاريخها بفرق الهراطقة، وهم الخارجون عن أراء الكنيسة الدينية، ومنهم الفرق التي كانت تنكر ألوهية المسيح.

---

(١) الله جَلَّ جلالَهُ واحد أم ثلاثة؟، : د. منقذ بن محمود السقار، ١٨١ : ١٨٣.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ١/ ٤٧.

ومن أهم هذه الفرق: الأبيونية وتنسب إلى قس اسمه أبيون، وقيل: الأبيونية هم: الفقراء إلى الله، فسموا بذلك لفقرهم وزهدهم.

وقد ظهرت هذه الفرقة في القرن الأول الميلادي من أصل يهودي، وقد نشطت هذه الفرقة بعد عام ٧٠م.

وقد ذكر معتقدات هذه الفرقة المؤرخون الأوائل خلال نقدهم لعقائد فرقة الأريوسية المتأخرة، فيقول بطريرك الإسكندرية (عام ٣٢٦م) عن عقيدة آريوس: "فهذا التعليم الثائر على تقوى الكنيسة هو تعليم أبيون وأرطيماس، وهو نظير تعليم بولس السمياطي".

ويقول كيرلس الأورشليمي (٣٨٨م) عن الهراقطة: "فكرنثوس صنع خراباً في الكنسية، وأيضاً ميناندر وكربو قراط وأبيون".

ويقول ايريناوس في كتابه "ضد الهرطقات" (١٨٨م): "والذين يدعون باسم الأبيونية يوافقون على أن الله هو الذي خلق العالم، ولكن مبادئهم عن الرب مثل كرنثوس ومثل كربو قراط .. وهم يستخدمون إنجيل متى فقط، ويرفضون بولس الرسول، ويقولون عنه: إنه مرتد عن الناموس، يحفظون الختان، وكل العوائد المذكورة في الشريعة".

ويقول أوسابيوس القيصري (ت٢٤٠م) في تاريخه: "قد كان الأقدمون محقين إذ دعوا هؤلاء القوم (أبيونيين)، لأنهم اعتقدوا في المسيح اعتقادات فقيرة ووضيعة، فهم اعتبروه إنساناً بسيطاً عادياً قد تبرر فقط بسبب فضيلته السامية" كما كان الأبيونيون يقولون بردة بولس وكانوا يتهمونه بالتحريف.

وتذكر المصادر أن هؤلاء استخدموا إنجيل متى أو إنجيل العبرانيين - ولعل الاسمين لمسمى واحد، فلعلهم استخدموا الأصل العبراني لمتى - ولم يبالوا بغيره، ويرى بعض المؤرخين أنه بسبب هذه الفرقة دعي يوحنا لكتابة إنجيله الذي يقرر فيه لاهوتية المسيح.

وقد كان لهذه الفرقة شأن، إذ كثروا حتى شمل نفوذها- باعتراف أعدائهم - فلسطين وسوريا وآسيا الصغرى ووصل إلى روما، واستمر وجودهم إلى القرن الرابع الميلادي حيث يفهم من كلام

(القديس) جيروم في القرن الرابع أنهم كانوا في حالة من الضعف والاضطهاد، وذلك بعد مخالفتهم لأوامر قسطنطين ومجمع نيقية .

ويرى بعض المحققين المسلمين أن هذه الفرقة هي التي عناها الله بقوله {فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين} (الصف: ١٤)، ويرون أنهم من عناهم المسيح بقوله: "طوبى للمساكين بالروح، فإن لهم ملكوت السماوات، طوبى للودعاء، فإنهم يرثون الأرض، طوبى للحزانى فإنهم يتعزون، طوبى للجياع والعطاش فإنهم يشبعون ... " (متى ٥/ ٣ – ٩)."[١]

ومهما يكن من أمر؛ فإن ثلة مؤمنة بعيسى –عليه السلام– ظلت موجودة بعده، يتناقص عددها جيلا بعد جيل ويتضاءل مع تتابع الزمان إلى الحد الذي لم يمكن معه أن يطلق عليها مسمى الفرقة، وإنما صاروا أفرادا منتشرين قبيل بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم– على ما أشار إليه حديث مسلم الأخير.

ومما كان سببا في محو هذه الفرقة كفرقة، مع بقاء بعض الأفراد المنتشرين ما أصاب جماعة المؤمنين من اضطهاد أشار إليه القرآن في قصة أصحاب الكهف كمثال لهذا الاضطهاد، وصوره خبر ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا ابْنَ مَسْعُودٍ". قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهَّ. قَالَ: "هَلْ عَلِمْتَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؟ لَمْ يَنْجُ مِنْهَا إِلَّا ثَلَاثُ فِرَقٍ، قَامَتْ بَيْنَ الْمُلُوكِ وَالْجَبَابِرَةِ بَعْدَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَدَعَتْ إِلَى دِينِ اللهَّ وَدِينِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَقَاتَلَتِ الْجَبَابِرَةَ فقُتلت فَصَبَرَتْ وَنَجَتْ، ثُمَّ قَامَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يَكُنْ لَهَا قُوَّةٌ بِالْقِتَالِ، فَقَامَتْ بَيْنَ الْمُلُوكِ وَالْجَبَابِرَةِ فَدَعَوْا إِلَى دِينِ اللهَّ وَدِينِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَقُتِّلَتْ وَقُطِّعَتْ بِالْمَنَاشِيرِ وَحُرِّقَتْ بِالنِّيرَانِ، فَصَبَرَتْ وَنَجَتْ. ثُمَّ قَامَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يَكُنْ لَهَا قُوَّةٌ بِالْقِتَالِ وَلَمْ تُطِقِ الْقِيَامَ

---

[١] الله جَلَّ جلالَهُ واحد أم ثلاثة؟، : د. منقذ بن محمود السقار / ١٨٣ : ١٨٥ .

بِالْقِسْطِ، فَلَحِقَتْ بِالْجِبَالِ فَتَعَبَّدَتْ وَتَرَهَّبَتْ، وَهُمُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ: {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ} ورواه ابن جرير وأبو يعلى من طريق أخرى.(١)"

الحواريون:

كان الحواريون خير جماعة الإيمان المتبعة للمسيح –عليه السلام–، وقد اعتنى القرآن بالحديث عنهم، ففيه ثناء كثير على الحواريين، فنرى قوله تعالى :

(فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (آل عمران/ ٥٢)

وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (المائدة/ ١١١)

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ)(الصف/ ١٤).

كما كان لهم من علماء الإسلام نصيب كبير من البحث.

الأصل الاشتقاقي:

"وأما"الحواريون"، فإن أهل التأويل اختلفوا في السبب الذي من أجله سموا"حواريين".

فقال بعضهم: سموا بذلك لبياض ثيابهم... وقال آخرون: سموا بذلك: لأنهم كانوا قَصّارين(٢) يبيِّضون الثياب... وقال آخرون: هم خاصّة الأنبياء وصفوتهم... قال أبو جعفر: وأشبه الأقوال التي ذكرنا في معنى"الحواريين"، قولُ من قال:"سموا بذلك لبياض ثيابهم، ولأنهم كانوا غسّالين"؛ وذلك أن"الحوَر" عند العرب شدة البياض".(٣)، وهو قول ابن عباس.–رضي الله عنه– (١)

---

(١)المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني،تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ١٠/ ٢١٢، ح (١٠٣٥٧)، ط: دار إحياء التراث العربي، الطبعة : الثانية ، ١٩٨٣ م.

(٢) غسالين.

(٣) تفسير الطبري، ٦/ ٤٤٥: ٤٥٠.

ورجح ابن كثير أن يكون الحواري هو الناصر، فقال: " وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْحَوَارِيَّ النَّاصِرُ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا ندب النَّاسَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ، فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ فانتدبَ الزُّبَيْرُ [ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ] فَقَالَ: "إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوارِيًا وَحَوَارِيِي الزُّبَيْرُ""(٢).

وقد اعتنى السلف بنقل بعض أخبار الحواريين مع نبيهم –عليه السلام– " قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ، عَنْ أَبِي ثُمَامَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ الْحَوَارِيُّونَ: يَا رُوحَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا عَنِ النَّاصِحِ لِلَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي يُؤْثِرِ حَقَّ اللَّهِ عَلَى حَقِّ النَّاسِ، وَإِذَا حَدَثَ لَهُ أَمْرَانِ –أَوْ: بَدَا لَهُ أَمْرُ الدُّنْيَا وَأَمْرُ الْآخِرَةِ –بَدَأَ بِالَّذِي لِلْآخِرَةِ ثُمَّ تَفَرَّغَ لِلَّذِي للدنيا."(٣)

" قَالَ الثَّوْرِيُّ ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيع ، عَنْ أَبِي لُبَابَةَ قَالَ: قَالَ الْحَوَارِيُّونَ: يَا رُوحَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا عَنِ الْمُخْلِصِ لِلَّهِ. قَالَ: الَّذِي يَعْمَلُ لِلَّهِ، لَا يُحِبُّ أَنْ يَحْمَدَهُ النَّاسُ."(٤)

وقد اعتمد البعض كون الحواريين اثني عشر رجلا على ما هو المشهور من نقل النصارى، قال البيضاوي: "والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً من الحور وهو البياض. فَآمَنَتْ طائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ وَكَفَرَتْ طائِفَةٌ أي بعيسى. فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلى عَدُوِّهِمْ بالحجة وبالحرب وذلك بعد رفع عيسى. فَأَصْبَحُوا ظاهِرِينَ فصاروا غالبين."(٥)

ويحاول البعض من النصارى تعليل كون العدد اثني عشر رجلا بأنه يلفت الأنظار فيقول: "لماذا كان اختار يسوع اثني عشر بالضبط، لا أزيد ولا أقل؟ كان ذلك العدد من الأتباع والمريدين يعد

---

(١) (وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هُوَ حَوَارِيُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسُمِّيَ الحَوَارِيُّونَ لِبَيَاضِ ثِيَابِهِمْ.)(صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، بَابُ مَنَاقِبِ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ)

(٢) تفسير ابن كثير،٢/ ٤٦.

(٣)المصدر نفسه،٤/ ١٩٨.

(٤)المصدر نفسه ،٥/ ٢٣٧.

(٥) تفسير البيضاوي، ٥/ ٢١٠.

كبيرا بالنسبة لأي معلم، إن ثلاثة رجال عدد لا بأس به، وستة رجال عدد يلفت الأنظار، أما اثنا عشر رجلا فعدد غير عادي".[1]

ولعل اختيار هذا العدد متوافق مع البيئة اليهودية التي نشأ فيها المسيح وأتباع دعوته حيث كان اليهود اثني عشر سبطا، مع العلم بأن لهذا العدد صدىٰ وتقدير في الأوساط الإسلامية؛ فقد جعل الروافض أئمتهم علىٰ مثل هذا العدد، بل وللعدد وجود في الوسط السني حيث جعل النبي –صلىٰ الله عليه وسلم– أعظم خلفاء الأمة اثني عشر، ففي حديث جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ عَزِيزًا إِلَىٰ اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً»، ثُمَّ قَالَ كَلِمَةً لَمْ أَفْهَمْهَا، فَقُلْتُ لِأَبِي: مَا قَالَ؟ فَقَالَ: «كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»[2] " وَمَعْنَىٰ هَذَا الْحَدِيثِ الْبِشَارَةُ بِوُجُودِ اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً صَالِحًا يُقِيمُ الْحَقَّ وَيَعْدِلُ فِيهِمْ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا تَوَالِيهِمْ وَتَتَابُعُ أَيَّامِهِمْ".[3]

وفي عددهم وبعض خبرهم قول لابن عباس –رضي الله عنهما–"عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرْفَعَ عِيسَىٰ إِلَىٰ السَّمَاءِ، خَرَجَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ وَهُمْ فِي بَيْتٍ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنْ عَيْنٍ فِي الْبَيْتِ، وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ مَاءً، فَقَالَ: إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِي اثْنَتَيْ عشر مَرَّةً بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِي. قَالَ: ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُلْقَىٰ عَلَيْهِ شَبَهِي فَيُقْتَلُ مَكَانِي، وَيَكُونَ مَعِي فِي دَرَجَتِي؟ قَالَ: فَقَامَ شَابٌّ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا فَقَالَ: أَنَا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ. ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ، فَقَامَ الشَّابُّ فَقَالَ: أَنَا. فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ. ثُمَّ عَادَ عليهم، فَقَامَ الشَّابُّ، فَقَالَ: أَنَا. فَقَالَ: نَعَمْ، أَنْتَ ذَاكَ. قَالَ: فَأُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَهُ عِيسَىٰ، ورُفع عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ روزَنة فِي الْبَيْتِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، قَالَ: وَجَاءَ الطلَبُ مِنَ الْيَهُودِ، فَأَخَذُوا شِبهَه فَقَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ، وَكَفَرَ بِهِ بَعْضُهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِهِ، فَتَفَرَّقُوا فِيهِ ثَلَاثَ فِرَقٍ. فَقَالَتْ فِرْقَةٌ:

---

(1) كل الرسل في الكتاب المقدس،هربرت لوكير، ترجمة: إدوارد وديع عبد المسيح، صـ١١، ط: دار الثقافة، القاهرة، ط: ثانية.

(2) متفق عليه واللفظ لمسلم،البخاري، ك: الأَحْكَامِ (ح٧٢٢٢) ،بَابُ الِاسْتِخْلَافِ، مسلم، ك: الإمارة، بَابُ النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ، وَالْخِلَافَةُ فِي قُرَيْشٍ (ح١٨٢١).

(3) تفسير ابن كثير،٣/ ٦٥.

كَانَ اللهُ فِينَا مَا شَاءَ، ثُمَّ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ. وَهَؤُلَاءِ الْيَعْقُوبِيَّةُ. وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا ابْنُ اللهِ مَا شَاءَ، ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَيْهِ وَهَؤُلَاءِ النُّسْطُورِيَّةُ، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ كَانَ فِينَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَيْهِ، وَهَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ فَتَظَاهَرَتِ الْكَافِرَتَانِ عَلَى الْمُسْلِمَةِ، فَقَتَلُوهَا، فَلَمْ يَزَلِ الْإِسْلَامُ طَامِسًا حَتَّى بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، {فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ} يَعْنِي: الطَّائِفَةَ الَّتِي كَفَرَتْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي زَمَنِ عِيسَى، وَالطَّائِفَةَ الَّتِي آمَنَتْ فِي زَمَنِ عِيسَى، {فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} بِإِظْهَارِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دِينَهُمْ عَلَى دِينِ الْكُفَّارِ {فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ}".(١)

والنظرة القرآنية للحواريين تصورهم أصحابا للمسيح –عليه السلام- استجابوا لدعوته وكانوا أنصارا له ولله فاكتسبوا هذه المنزلة بعملهم مع كونهم بشرا معرضين لحبوط عملهم إن أتوا بما يوجب الحبوط، بل قد خشي عليهم المسيح –عليه السلام- من ذلك لما طلبوا نزول المائدة { قَالَ اتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }[المائدة/ من الآية ١١٢]، بل وتوعدهم الله بذلك إن هم كفروا، { قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ}[المائدة/ الآية ١١٥]، في حين يرى النصارى أن اختيار الحواريين كان محض هبة واصطفاء بل واصطناع من المسيح، يقولون: "هناك حقيقة ثابتة يجب أن نؤكدها وهي أنه -المسيح- دعاهم لكي يتبعوه، ليس لاستحقاق فيهم عندما التقى بهم لأول مرة، ولكن بسبب ما يمكن أن يؤولوا إليه بفضل تعليمه وقوته... كما لو أن الفخاري الإلهي قد اختار قطعة صلصال عادية ليشكل منها شهوده وعماله الأقوياء"(٢).

وهذا المعنى للاصطفاء والاصطناع الإلهي للحواريين نراه يتوارى مع اعتقاد أن أحدهم هو الذي أسلم المسيح ووشى به –على الرواية المسيحية-.

وينكر ابن حزم أن يكون الذين قص علينا الإنجيل أسماءهم هم الحواريين، فيقول: " ليعلم كل مُسلم أَن هَؤُلَاءِ الَّذين يسمونهم النَّصَارَى ويزعمون أَنهم كَانُوا حواريين للمسيح عَلَيْهِ السَّلَام

(١) تفسير ابن كثير، ٨/ ١١٣، ١١٤.

(٢) كل الرسل في الكتاب المقدس،هربرت لوكير، صـــــ٩.

كباطرة وَمَتى الشرطي ويوحنا وَيَعْقُوب ويهوذا ، الأخساء لم يَكُونُوا قطّ مُؤمنين فكيف حواريين بل كَانُوا كَذَّابين مستخفين بِاللهَّ تَعَالَىٰ إما مقرين بإلهية الْمَسِيح عَلَيْهِ السَّلَام معتقدين لذَلِك غالين فِيهِ كغلو السبئية وَسَائِر فرق الغالية... وَإِمَّا مدسوسين من قبل الْيَهُود كَمَا تزْعم الْيَهُود لإفساد دين أَتبَاع الْمَسِيح عَلَيْهِ السَّلَام وإضلالهم... وَأما الحواريون الَّذين أثنى الله عَلَيْهِم فَأُولَئِك أَوْلِيَاء الله حَقًا ندين لله عز وَجل بحبهم وَلَا نَدْرِي أسماءهم لِأَن الله تَعَالَىٰ لم يسمهم لنا إِلَّا إننا نبت ونوقن ونقطع بِأَن باطرة الْكذَّاب وَمَتى الشرطي ويوحنا المستخف ويهوذا وَيَعْقُوب النذلين ومارقس الْفَاسِق ولوقا الْفَاجِر وبولس الْجَاهِل مَا كَانُوا قطّ من الحواريين لَكِن من الطَّائِفَة الَّتِي قَالَ الله فِيهَا وكفرت طَائِفَة"(١)

ويحرص ابن حزم أن يثبت إيمان الحواريين الذين حكى عنهم القرآن ويدفع الشبه عن ساحتهم فيقول: " قَالَ أَبُو مُحَمَّد وَأبين من شَيْء فِي هَذَا قَول الله تَعَالَىٰ {إِذْ قَالَ الحواريون يَا عِيسَى ابْن مَرْيَم هَل يَسْتَطِيع رَبك أَن ينزل علينا مائدة من السَّمَاء} إِلَى قَوْله {ونعلم إِن قد صدقتنا} فَهَؤُلَاءِ الحواريون الَّذين أثنى الله عز وَجل عَلَيْهِم قد قَالُوا بِالْجَهْلِ لعيسى عَلَيْهِ السَّلَام هَل يَسْتَطِيع رَبك أَن ينزل علينا مائدة من السَّمَاء وَلم يبطل بذلك إِيمَانهم وَهَذَا مَا لَا مخلص مِنْهُ وَإِنَّمَا كَانُوا يكفرون لَو قَالُوا ذَلِك بعد قيام الْحجَّة وتبيينهم لَهَا"(٢).

والأولى حمل الآية على القراءة الأخرى (هَلْ تَسْتَطِيعُ) بالتاء (رَبَّكَ) بالنصب، على معنى الرواية التي أوردها الطبري " قالت عائشة: كان الحواريون لا يشكّون أن الله قادر أن ينزل عليهم مائدة، ولكن قالوا: يا عيسى هل تَسْتطيع ربَّك؟"(٣)على معنى هل تستطيع أن تدعو ربك فيستجيب لك فينزل علينا مائدة من السماء.

---

(١)الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ٢/ ٣٢، ٣٣.

(٢)المصدر نفسه ، ٣/ ١٤١.

(٣) تفسير الطبري، ١١/ ٢١٩.

لكن هؤلاء المزعومين الذين نسخوا "بعد المشاورة جميع الأحكام العملية المدرجة في التوراة إلا أربعة أحكام: حرمة ذبيحة الصنم، وحرمة الدم، وحرمة المخنوق، وحرمة الزنا، وكتبوا في هذا الباب كتاباً إلى الكنائس، كما هو مصرح في الباب الخامس عشر من كتاب الأعمال"[1] لا يمكن أن يكونوا هم الحواريين الذين أثنى عليهم القرآن والنبي -صلى الله عليه وسلم-

---

[1] إظهار الحق، : محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى : ١٣٠٨هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق : الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي ، ١/ ٣٢، الناشر : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية، الطبعة : الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م.

الخاتمة:

أهم نتائج البحث:

١- تصديق القرآن سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- التي أخبرت عن افتراق اليهود والنصارى، وقد بين القرآن طرفا من هذا الاختلاف والافتراق.

٢- إظهار حرص القرآن على بيان عقائد المخالفين، وما يتضمنه هذا الحرص من الإذن للمسلمين بمعرفة وحكاية أقوال أهل الملل والأهواء.

٣- بيان منهج القرآن الكريم في عرض عقائد النصارى، ذلك المنهج الذي يهتم بتعيين المقولة لا بتسمية قائلها، والفرق في العرض بين مقولة أجمع عليها أهل الملة، وبين مقولة انفردت بها طائفة أو بعض الطوائف.

٤- كان من أسباب اختلاف النصارى ضياع الوحي الصحيح من أيديهم.

٥- منهج القرآن في تعليم العقيدة يقوم على جانبي الهدم والبناء، هدم العقائد الفاسدة، وبناء العقائد الصحيحة.

٦- بيان شدة اختلاف النصارى في شأن عيسى -عليه السلام-.

٧- مال جمهرة العلماء والمفسرين إلى أن آيات القرآن الكريم في حق النصارى كانت لبيان عقائد فرقهم على اختلافها.

٨- تعظيم القرآن الكريم شأن المؤمنين من أتباع الأنبياء، وتوعده لطوائف الكفر على اختلاف أقوالها.

ثبت المراجع

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: كتب الحديث:

١- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي،المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢- صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣- سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر،الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٤- سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٥- سنن ابن ماجه، المؤلف : ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، المتوفى ٢٧٣هـ، دار النشر:دار الجيل، بيروت، سنة النشر: ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، رقم الطبعة:الأولى، اسم المحقق:بشار عواد معروف.

٦- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى

عبد القادر عطا، ، جـ١/ ٢١٨، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠

١- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، مكتبة المعارف)

ثالثا: العهد الجديد

رابعا: المؤلفات:

١- أبو كريفا العهد الجديد كيف كتبت؟ ولماذا رفضتها الكنيسة؟ الجزء الأول الكتاب المسماة بأناجيل الطفولة والآلام، ط: مكتبة المحبة، ٢٠٠٧م.

٢- إظهار الحق، المؤلف : محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى : ١٣٠٨هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق : الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي ، الناشر : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية، الطبعة : الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م.

٣- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، المحقق: د. أحمد حجازي السقا، ص: ٢٥٤، الناشر: دار التراث العربي – القاهرة.

٤- الله جَلَّ جلالَهُ واحد أم ثلاثة؟، المؤلف: د. منقذ بن محمود السقار، الناشر: دار الإسلام للنشر والتوزيع،الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٦- بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار النشر: دار الفكر-بيروت.

٧- البداية والنهاية، تأليف: عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤ هـ)، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر، الناشر: هجر للطباعة والنشر – الجيزة، الطبعة: الاولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧ م.

٨- تأملات في الأناجيل والعقيدة، د. بهاء النحال، ط: دار الاتحاد الأخوي، القاهرة، بدون.

٩- تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

١٠-تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

١١-تفسير مقاتل بن سليمان، المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت.

١٢-تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.

١٣-تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ٣/ ٢٣٨، ٢٣٩، ط:مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

١٤-: الثقات -لابن حبان-، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، ط: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣

١٥-جامع البيان في تأويل القرآن(تفسير الطبري)، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

١٦-الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٧-جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر "عرض ونقد"، رمضان مصطفى الدسوقي، رسالة دكتوراة – كلية أصول الدين بالمنصورة – جامعة الأزهر ٢٠٠٤م.

١٨-حواشي على الكتاب المقدس للكاثوليك، ط بيروت ١٩٦٨ م.

١٩-الخلفية الحضارية في إطار حضارات المتوسط، بيار كانيفيه، ضمن كتاب (المسيحية عبر تاريخها في المشرق)، مجلس كنائس الشرق الأوسط، بيروت، لبنان.

٢٠-دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، المؤلف: سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٢١-دراسات في الملل والنحل (أقول المسيحية الهلينية) حررها وترجم بعضها: د.محمد عبد الله الشرقاوي، مطبعة المدينة، القاهرة، ط: أولى، ١٤١٤ هـــ- ١٩٩٣م.

٢٢-الرد على القائلين بوحدة الوجود، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، المحقق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢٣-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٢٤-السيد المسيح في الفكرين الإسلامي والمسيحي، نبيل لوقا بباوي، ط: دار السعادة، القاهرة،٢٠٠٧م، ط: أولى

٢٥-صبح الأعشىٰ في صناعة الإنشاء، المؤلف: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت .

٢٦-الفتاوىٰ الكبرىٰ لابن تيمية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفىٰ: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية،الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٢٧-، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتىٰ اليوم دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية، سعد رستم ، ط٢، الأوائل للنشر والتوزيع-دمشق ٢٠٠٥م.

٢٨-الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية القس: إبراهيم عبد السيد، الناشر: كنيسة مارجرجس بالمعادي-القاهرة.

٢٩-قوانين المجامع المسكونية وخلاصة قوانين المجامع المكانية، الراهب القس أثناسيوس المقاري، الطبعة الأولىٰ، مطابع النوبار-مصر ٢٠١٣م.

٣٠-الفصل في الملل والأهواء والنحل، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفىٰ: ٤٥٦هـ)، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة.

٣١-كل الرسل في الكتاب المقدس،هربرت لوكير، ترجمة: إدوارد وديع عبد المسيح، ط: دار الثقافة، القاهرة ، ط: ثانية.

٣٢-مائة سؤال وجواب في العقيدة المسيحية الأرثوذكسية، الأنبا بيشوي مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري وسكرتير المجمع المقدس ، ط١، دار نوبار-مصر ٢٠٠٤م.

٣٣- محاضرات في النصرانية (تبحث في الأدوار التي مرَّت عليها عقائد النصاري وفي كتبهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم)، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفىٰ بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفىٰ: ١٣٩٤هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة: الثالثة ١٣٨١ هـ - ١٩٦٦ م.

٣٤-معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ.

٣٥-مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

٣٦-الملل والنحل، المؤلف: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، الناشر: مؤسسة الحلبي.

٣٧-موسوعة الأنبا غريغوريوس (لاهوت السيد المسيح)، الأنبا غريغوريوس، الناشر: مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس، دير الأنبا رويس بالعباسية، ٢٠٠٤م.

٣٨- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ.

٣٩-مناظرة بين الإسلام والنصرانية، لمناقشة العقيدة الدينية بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية، الأستاذ إبراهيم خليل أحمد، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

٤٠-هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد أحمد الحاج، الناشر: دار القلم- دار الشامية، جدة – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .